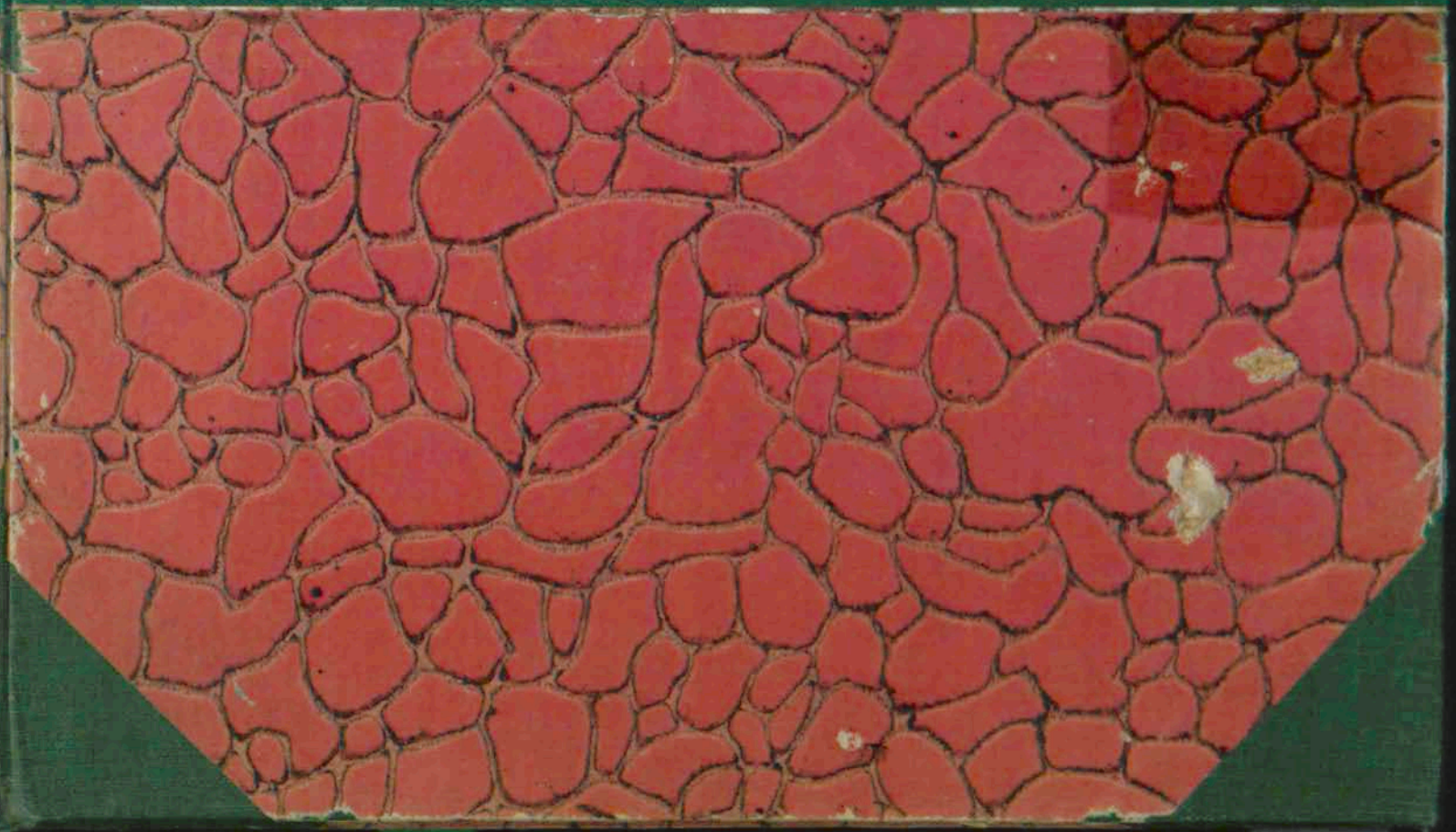

١٥٩٩٩٧

كتاب الصدق

ابو سعيد خراز

يمنى.

۱۴۹۹۹۷
بسمه تعالی
نقل بکتابخانه ...
در سه شنبه ۲۲ ذیقعده ۱۳۶۱
کتابخانه مجلس شورای اسلامی
تاسیس ۱۳۰۲

# كتاب الصّدق

## للشيخ أبي سعيد الخراز

قدّس الله روحه ونوّر قبره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الّذين اصطفى، قال الشيخ الامام العارف ابو سعيد احمد بن عيسى البغدادي الخرّاز قدّس الله روحه ونوّر ضريحه قلت لبعض العلماء اخبرني عن الصّدق كيف هو وما معناه وكيف العمل به حتّى اعرفه، فقال الصّدق اسم للسّعان[له] كلّها وهو داخل فيها اتحبّ ان اجيب عن مسألتك جوابا مختصرا اجمله ام اشرح لك العلم والعمل بالاصول التي بها تقوم الفروع، قلت اريد الامرين جميعا ليكون ذلك علما لي وفقها ونصرة، فقال وفّقت إن شاء الله

اعلم انّه لا بدّ للمريد المحقّق في ايمانه والطالب لسلوك سبيل النّجاة من معرفة ثلاثة اصول يعمل بها فبذلك يقوى ايمانه وتقوم حقائقه وتثبت فروعه فتصفو عند ذلك الاعمال وتخلص ان شاء الله، فاوّلها الاخلاص لقول الله عزّ وجلّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وقال تعالى فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وقال لمحمّد صلّى الله عليه وسلّم قل إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ

له للمعاني



أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وقال قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي وقال جلّ ذكره وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ونحو هذا في القرآن كثير وفي هذا مقنع، ثمّ الصّدق لقول الله عزّ وجلّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ وقال تعالى فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وقال تعالى رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ وقال تعالى وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وقال لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وقال تعالى وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وهذا كثير في القرآن، ثمّ الصبر لقول الله عزّ وجلّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وقال تعالى وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وقال تعالى وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وقال تعالى وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وقال تعالى وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وقال تعالى وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وقال تعالى وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ فجعل لهم الكرامة بالبشرى وهذا كثير

مؤكد في القرآن

وهذه ثلاثة أسام[1] لمعان[2] مختلفة وهي داخلة في جميع الأعمال ولا تتم الأعمال إلا بها فإذا فارقت الأعمال فسدت ولم تتم ولا يتم بعض هذه الأصول الثلاثة الا ببعض فمتى فقد أحدها تعطلت الأخر (قال) فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصبر لا يتم إلا بالصدق فيه والاخلاص فيه والصدق لا يتم الا بالصبر عليه والاخلاص فيه ، فأول الاعمال هو الاخلاص فالفرض الواجب أن تؤمن بالله وتعلم وتقر وتشهد ألا اله الا الله وحده لا شريك له وأنه ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ الخالق البارئ المصور الرازق المحي المميت الذي اليه تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ وأن محمدا[3] عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق والنبيين حق وبالحق أدوا الرسالة وبالغوا في النصيحة وأن الجنة حق والبعث حق والمرد الى الله تعالى يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ ، ويكون ذلك عقدك ظاهرا[4] على لسانك بلا شك ولا ريب ساكنٌ قلبُك مطمئنٌ الى ماصدقت به وأقررت ، وكذلك لا يعارضك في كل ماجاء من

[1] اسامي [2] لمعاني [3] محمد [4] وظاهر



عند الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم شك في كل ما ذكره عن ربه عز وجل غير مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة الهدى الذين كانوا قدوة لمن جاء بعدهم من أهل الهداية ثم التابعون[1] من بعدهم ثم علماء كل عصر متبعا[2] للجماعة مخلصا في ذلك لله وحده لا تريد الا الله تعالى ليتم اسلامك وايمانك وتوحيدك

باب الصدق في الاخلاص الثاني (*) وهو الذي امر الله تعالى به حين يقول فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ، فمن شرح ذلك أن يكون العبد يريد الله عز وجل بجميع اعماله و افعاله وحركاته كلها ظاهرها وباطنها لا يريد بها الا الله وحده قائما بعقله وعلمه على نفسه وقلبه راعيا لهمته قاصدا الى الله تعالى بجميع أمره لا يحب مدح احد ولا ثناءه ولا يفرح بعمله اذا اطلع عليه المخلوقون فان عارضه من ذلك شيء اتقاه بالسرعة والكراهية ولم يسكن اليه لكن اذا أثنى عليه احد حمد الله على ستره عليه حين وفقه لخير رآه العباد عليه ، نعم ثم يخاف عند ذلك من عمله الردي

[1] التابعين [2] متبع

وسريرته القبيحة التى خفيت على النّاس ولم تخف على الله فأشفق من ذلك وخاف أن تكون سريرته أقبح من علانيته، فهكذا يروى فى الحديث السريرة اذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور فاذا استوت السريرة و العلانية فذلك العدل واذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل

فالواجب على العبد أن يخفى عمله جهده حتى لا يطّلع عليه الا الله تعالى فذلك أبلغ فى رضا الله عزّوجلّ وأعظم في تضعيف الثواب وأقرب الى السلامة واوهن لكيد العدو وأبعد من الآفات، وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال ما أعبأ بما يظهر من عملى، ويروى فى الحديث أن عمل السّر يفضل على عمل العلانية سبعين ضعفا، ويروى أنّ العبد ليعمل العمل فى السرّ فيدعه الشيطان عشرين سنة ثمّ يدعوه الى أن يظهره ويذكره فينقل من ديوان السرّ الى ديوان العلانية فينقص من ثواب العمل وفضله ثمّ لا يزال يذكّره أعماله حتى يذكرها للناس ويتحلّى[1] اطلاعهم عليها ويسكن الى ثنائهم فيصير رئاء

[1] ويتحلّا



فهذه الامور ضدّ الاخلاص وما ذكرنا فهو جملة الاخلاص الّذي لابدّ للمخلوقين من معرفته والعمل به ولا يسعهم جهله، وتبقى (٧) الزيادة فى الاخلاص مع العبد اذا أحكم هذه الاصول،، قلت ثمّ ماذا قال ممّا يمكن أن يذكر أن يكون العبد لا يرجو الا الله ولا يخاف الا الله ولا يتزيّن الا لله ولا يأخذه فى الله لومة لائم ولا يبالى اذا وافق الامر الذى فيه محبّة الله ورضاه من سخطه، وما بقى من ذكر غاية الاخلاص أكثر وفى هذا بلاغ للمريدين السالكين للطريق

باب ثمّ الصدق فى الصبر، والصبر اسم لمعانٍ[1] ظاهرة وباطنة، فأمّا الظّاهرة فهى ثلاث فأوّلها الصبر على اداء فرائض الله تعالى على كلّ حال فى الشدّة والرخاء والعافية و البلاء[2] طوعا وكرها، ثمّ الصبر الثانى وهو الصبر عن كل ما نهى الله تعالى عنه ومنع النفس من كل ما مالت اليه بهواها ممّا ليس لله تعالى فيه رضا[3] طوعا وكرها، وهذان صبران فى موطنين هما فرض على العباد أن يعملوا بهما، ثمّ الصبر الثالث وهو الصبر على النوافل وأعمال البرّ ممّا يقرّب العبد الى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية منه للذى رجاه من

[1] لمعانى [2] والبلى [3] رضى

کتابخانه نجفی



ثواب الله عزّ وجلّ ، وهكذا يروى أنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم فيما رواه عن ربّه عزّ وجلّ قال ما تقرّب الىّ عبدى بمثل ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرّب الىّ بالنّوافل حتّى أحبّه ،، والصبر الرابع وهو الصبر على قبول الحقّ ممّن جاءك به من النّاس ودعاك اليه بالنصيحة فيقبل منه لأن الحقّ رسول من الله جلّ ذكره الى العباد ولا يجوز لهم ردّه فمن ترك قبول الحقّ وردّه فانّما يردّ على الله تعالى امره ، وهذا ظاهر الصّبر الواجب على الخلق الذى لا يسعهم جهله ولا بدّ لهم منه وبقى شرح حقائق الصبر وغايته الذى يكون مع الصابرين بعد إحكام هذا الصبر الذى ذكرناه

قلت فالصبر فى نفسه ما هو وما موجوده فى القلب قال الصبر هو احتمال مكروه النفس وموجوده اذا وقع (*) بالنفس ما تكرهه تجرّعت ذلك وأنفت الجزع وتركت البثّ والشكوى وكتمت ما نزل بها ، لأنّه يروى فى الحديث من بثّ فقد شكا ، ألم تسمع الله تعالى يقول وَٱلْكَاظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ أفلا ترى أنّه كظم ما كره وشقّ على نفسه احتماله فصار صابرا ، فاذا



أبدى الجزع وكافأ من أساء اليه ولم يعفّ[1] عمّن أساء اليه خرج من حدّ الصبر على هذا القياس

قلت فيما[2] ذا يقوى الصابر على الصّبر وبما[3] ذا يتمّ له قال يروى فى الحديث أنّ الصبر على المكاره من حسن اليقين ويروى أنّ الصّبر نصف الايمان واليقين الايمان كلّه ، وذلك أنّ العبد لمّا آمن بالله تعالى وصدّق قوله فى الذى وعده وتواعده قامت فى قلبه الرغبة فى ثواب الله تعالى الذى وعده ولزمت قلبه الخشية من عقاب الله الذى تواعده وصحّت عند ذلك رغبته وقامت عزيمته فى طلب النّجاة ممّا يخافه وهاجت آماله فى الظّفر بالذى يرجوه فجدّ عند ذلك فى الطلب والهرب فسكن الخوف والرجاء قلبه فركب عند ذلك مطيّة الصّبر وتجرّع مرارته عند نزوله ومضى فى انفاذ العزائم و حذر من نقصها فوقع عليه اسم الصبر

باب والصدق اسم لمعانٍ[4] كثيرة فأوّل الصدق هو صدق العبد فى الانابة الى الله تعالى بالتوبة النّصوح لقول الله عزّ وجلّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللهِ تَوْبَةً

[1] يعفوا [2] فيما [3] وبما [4] لمعانى

نَصُوحًا وقال تعالى وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وقال تعالى لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فأوّل التّوبة هو الندم على ما كان من التفريط فى امر الله تعالى ونهيه والعزيمة على ترك العود فى شئ ممّا يكره الله عزّوجلّ ودوام الاستغفار ورد كلّ مظلمة للعباد من مالهم وأعراضهم والاعتراف لله تعالى ولهم و لزوم الخوف والحزن والاشفاق (٨) ألّا تكون مصحّحا و الخوف أن لا تقبل توبتك ولا تأمن أن يكون قد رآك الله تعالى على بعض ما يكره فمقتك، وهكذا يروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنّه قال ما يؤمننى أن يكون قد رآنى على بعض ما يكره فقال اعمل ما شئتَ فلا غفرتُ ، و يروى عنه أيضا أنه قال أخاف أن يطرحنى فى النار ولا يبالى، وبلغنى أنّ بعض العلماء لقى بعض النّاس فقال له تبتَ قال نعم قال قُبلتَ قال لا أدرى قال أذهب فادرى، وقال يفنى حزن كلّ ثكلى وحزن التائب ما يفنى

ومن صدق التوبة ترك الاخدان والاصحاب الذين أعانوك على تضييع امر الله تعالى والهرب منهم وأن تتّخذهم

له ايها له وهكذى له يفنا له والذين



أعداء أو يرجعوا الى الله، فهكذا قال الله عزّوجلّ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ، ومن صدق التوبة خروج المأثم من القلب والحذر من خفايا التطلّع الى ذكر شئ ممّا أنبت الى الله منه ، قال الله عزّوجلّ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ، واعلم أن المؤمن كلّما صحّح و كثر علمه بالله تعالى دقّت عليه التوبة أبداء ألا ترى أن النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقول إنّه ليغان على قلبى فأستغفر الله وأتوب اليه كل يوم مائة مرّة ، فمن طهر قلبه من الآثام والادناس وسكنه النور لم يخف عليه ما يدخل قلبه من خفى الآفة وما يلزمه من القسوة من الهمّة بالزلّة قبل الفعل فيتوب عند ذلك

باب ثمّ الصدق فى معرفة النّفس والقيام عليها ، قال الله عزّوجلّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وقال تعالى فى قصّة يوسف عليه السّلام حين يذكر عنه وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي وقال تعالى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ

له يرجعون

عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعدىٰ[1] عدولك نفسك التى بين جنبيك ثمّ أهلك ثمّ ولدك ثمّ الأقرب فالأقرب ، (*) ويروى عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال نفس إن قبقبها ونغمتها ذمّته غدا عند الله قيل[2] له وما هى قال أنفسكم التى بين جنبيكم ، فمن صفة الصادق فى القصد الى الله تعالى أن يدعو نفسه الى طاعة الله تعالى وطلب مرضاته فان أجابته حمد الله تعالى وأحسن اليها ، فهكذا يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم رأوه يوطئ شيئا يفترشه فقيل له ما هذا قال نفسى إن لم أحسن اليها لم تحملنى ، وإن لم تجبه الى ما يرضى الله وراها بطيئة منعها محبوبها من العيش وخالفها عند ما تهوى وعاداها فى الله ولله وشكاها الى الله حتى يصلحها له ولا يقيم على ذمّها مع الاحسان اليها وذكر عيوبها والذم لها وما لا يرضاه من فعلها مع الاقامة معها على الذى تهواه من الفعل ، وهكذا يروى عن بعض العلماء أنه قال قد علمت أنّ من صلاح نفسى علمى بفسادها وكفى بالمرء اثما أن يعرف من نفسه عيبا لا يصلحه وليس منتقلا من ذلك

[1] اعدا [2] ناقص فى الاصل



الى توبة ، وقال بعض العلماء إن كنت صادقا فى ذمّك لنفسك فان ذمّك غيرك بما فيك فلا تغضب

واذا نازعتك نفسك الى شئ من الشهوات أو شغل قلبك فى طلب شئ ممّا حرم عليك وحلّ لك فاتهمها تهمة من يريد صلاحها وامنعها من ذلك منع من يريد استعبادها واحملها بالامتناع عن الملاذّ على[1] اللحوق بمن تقدّمها فانّ الذى نازعتك اليه لا يخلو من أن يكون حراما تستحقّ به السخط أو حلالا تستوجب به طول الوقوف على المسائلة اذا مضى التاركون للحرام اجلالا له وتعظيما له ووقفوا عن الحلال للانكماش والمبادرة ، فاعمل فى نظام نفسك عن الحالين جميعا فانّ من فطم نفسه عن الدنيا كان رضاعه من الاخرة ومن اتّخذ الأخرة أمّا أحبّ برّها والورود عليها اذا رضى أبناء الدنيا بالدنيا أمّا وبرّوها وسعوا من أجلها فارم المؤثرين للدنيا من قلبك بالهجران مع النّصيحة لهم (٩) وتحذيرهم اتياها واحذر التّخلّف عن السابقين وانظر فى خاصّة نفسك وحثّ على ذلك أصفياءك وبطائنك فانّ السابقين شمّروا وشدّوا المآزر[2] وكشفوا عن الرؤوس والسوق فاغتنموا الصحّة و

[1] عن [2] الميازر

بادروا فى النشاط ورعواحق الله تعالى أن يهتكوا سترا ممّا نهاهم عنه وتحبّبوا اليه برفض ما أباح لهم أخذه وتركوا الحرام تعبّدا والحلال تقرّبا وألفوا السهر والظمأ وأنسوا الى التبلّغ والاجتزاء باليسير

باب ثمّ الصدق فى معرفة عدوّك ابليس، قال الله عزّ وجلّ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ وقال جلّ وعزّ يَا بَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ وقال تعالى وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه للملك لمّة وللشيطان لمّة فلمّة الملك ايعاد بالخير ولمّة الشيطان ايعاد بالشرّ، وقال فى خبر آخر إنّ الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس، فاقطع مادّته بالعزيمة على مخالفة هواك ومنع نفسك من الافراط والتشوّف فهما خير أعوانه عليك وبهما يقوى كيده واذا اتّبعتهما فأحضر عقلك وعلمك الذى علّمك الله تعالى فقم بهما على نفسك وراع قلبك وما يقع فيه فما كان من

لـه عدوا



أجناس الخير والعلم فاتّبعه وما كان من جنس الباطل والهوى فانفه بالسرعة ولا تمادعلى الخطرة فتصير شهوة ثمّ تصير الشّهوة همّة ثمّ تصير الهمّة فعلا واعلم أنّ عدوّك ابليس لا يغفل عنك فى سكوت ولا كلام ولا صلوة ولا صيام ولا بذل ولا منع ولا سفر ولا حضر ولا تفرّد ولا خلطة ولا فى توقّر ولا عجلة ولا فى نظر ولا فى غضّ بصر ولا فى كسل ولا فى نشاط ولا فى ضحك ولا فى بكاء ولا فى إخفاء ولا فى إعلان (*) و لاحزن ولا فرح ولا صحّة ولا سقم ولا مسئلة ولا جواب ولا علم ولا جهل ولا بعد ولا قرب لـه ولا حركة ولا سكون ولا توبة ولا إصرار، ولن يألو جهدا فى توهين عزمك وفتور نيّتك وتأخير توبتك وليسوّف برّك وقتا الى وقت ويأمرك بتعجيل ما لا يضرّك تأخيره يريد بذلك قطعك عن الخير ثمّ يذكّرك فى وقت شغلك بالبرّ والطّاعة الحوائج ليقطعك عن خير أنت فيه، وربّما حبّب اليك النقلة من بلد الى بلد يوهمك أنّ غير البلد الذى أنت فيه أفضل ليشغل قلبك ويعطل مقامك بما يعقبك الندم اذا أنت فعلته

فاحترس من عدوّك أشدّ الاحتراس وتحصّن منه

لـه ولا فتور زائد فى الاصل

بالملجأ الى الله عزّوجلّ فانّه أمنع الحصون وأقوى الاركان فاجعل الله تعالى كهفك وملجأك واحذر عدوّك عند الغضب والحدّة فانّك ان استقبلك فى هيج الغضب ذكر الله تعالى وعلمت أنّه شاهدك أطفأت[1] بمراقبته نيران العزّ وتوقّد الحمية وأجللت من قد علمت أنّه يراك من أن تحدث فى غضبك ما تستحقّ به غضبه فانّ الشيطان يغنم منك هيج الغضب وحميّة[2] الشهوة، وأما حذرك اياه عند الحدّة فانّه يقال انّ الشيطان يقول انّ الحديد من العباد لن نأيس منه ولو كان يحيى بدعائه الموتى لانّه تأتى عليه ساعة يحتدّ فنصير منه الى ما نريد ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم

باب ثمّ الصدق فى الورع واستعمال التقيّة، فالصدق فى الورع هو الخروج من كلّ شبهة والترك لكلّ ما اشتبه عليك من الامور، فهكذا يروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال لا يكون العبد من المتّقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وقال صلى الله عليه وسلّم الحلال[3] بيّن والحرام[4] بيّن وبين ذلك امور مشتبهات، (١٠) فمن ترك الشبهات مخافة أن يقع فى الحرام فقد استبرأ عرضه، وقال ابن سيرين رحمة الله عليه ما فى دينى شئ

[1] اطفيت [2] وحموة [3] حلال [4] وحرام



أيسر من الورع كل ما اشتبه علىّ تركته، وقال الفضيل رحمه الله يقول الناس الورع شديد دع ما يريبك الى ما لا يريبك فخذ ما حلّ وطاب من الاشياء وابذل المجهود فى طلب الشئ الصافى من الحلال لأن الله عزّوجلّ قال يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم لسعد رضى الله عنه إن أردت أن يجيب الله تعالى دعاءك فكل الحلال وقالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله من المؤمن قال من اذا أمسى نظر من أين قرصه

باب ثمّ الصدق فى الحلال الصافى اذا وجدته وكيف العمل به، فالصدق فى الحلال اذا وجدته أن تاخذ منه ما لا بدّ منه على قدر معرفتك بنفسك وما يقيم ميلها ولا تحمل عليها فوق طاقتها فتنقطع ولا تصير معها الى ما تهواه من السرف ولكن خذ ما يقيمك بلا تقتير ولا سرف فى الطعام واللباس والمسكن واحذر الفضول مخافة الحساب وطول الوقوف، فهكذا يروى أنّ رجلا قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه يا أبا الحسن صف لنا الدنيا فقال حلالها حساب و حرامها عذاب أو عقاب، فاذا كان العبد ضعيفا ثمّ ملك الشئ

الطيّب حبسه على نفسه وعلى من يمون فانفق منه بالمعروف مخافة أن يكون اذا أخرجه لم يصبر وجزع فوقع فى ما هو أردى منه فكان فى حبسه ايّاه مزريا على نفسه من ادّخاره حين عدم من نفسه الثقة بالله تعالى والسّكون اليه دون الشئ فيكون كذلك حتى يقوى عزمه

قلت فكيف ملك الانبياء عليهم السلام الاموال و الضياع مثل داود وسليمن وابراهيم وأيّوب ونظرائهم و يوسف عليه السلام على خزائن الارض (*) ومحمّد صلّى الله عليه وسلّم والصالحين من بعد، فقال هذه مسئلة كبيرة[له] وفيها كثير اعلم أنّ الانبياء عليهم السّلام والعلماء والصالحين من بعدهم رضى الله عنهم أمناء الله تعالى فى ارضه على سرّه وعلى امره ونهيه وعلمه وموضع وديعته والنصحاء له فى خلقه وبريّته وهم الذين عقلوا عن الله تعالى امره ونهيه وفهموا لماذا خلقهم وما أراد منهم والى ما ندبهم فوافقوه فى محبّته ونزلوا فى الامور عند مشيئته ثمّ وقفوا عند ذلك مواقف العبيد الألبّاء القابلين عن الله والحافظين لوصيّته وأصغوا اليه بآذان فهومهم الواعية و

له كبير



قلوبهم الطاهرة ولم يتخلّفوا عن ندبته فسمعوا الله عزّ وجلّ يقول آمنوا بالله ورسوله وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ثمّ قال ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وقال تعالى لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وقال تعالى أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى وكذلك ما خوّلهم وملّكهم فانّما هو له غير أنهم فى دار اختبار وبلوى وخلقوا للاختبار و البلوى فى هذه الدار، وهكذا يروى عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه حين سمع هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا قال يا ليتها تمّت يعنى عمر قبل قراءة إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فهمهم - يقال فى التفسير عجز فى التلاء عجزا- ومعنى قول عمر رضى الله عنه يا ليتها تمّت يعنى لم يخلق حين سمع الله تعالى يقول لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا وذلك من معرفة عمر رضى الله عنه بواجب حقّ الله و قدر امره ونهيه وعجز العباد عن القيام به وقيام الحجّة لله تعالى عليهم عند تقصيرهم وما تواعدهم به اذا ضيّعوا،

ويروى عن الحسن رضى الله عنه أنّه قال إنّ الله تعالى
انّما أهبط آدم عليه السّلام الى الدّنيا عقوبة وجعلها سجنا
له حين أخرجه من جواره وصيّره الى دار التعب والاختبار
ويروى فى الحديث أنّ الله لمّا خلق آدم قبل أن ينفخ فيه
الروح فعلم الله تعالى مايكون (١١) من ذرّيته أراد أن
يمحقه، قال الشّيخ أبوسعيد رحمه الله قال رجل من البدلاء
النبلاء رحمه الله ليته محقه ولم يخلق

فمن ملك من أهل العمل عن الله تعالى وأهل الصدق
شيئا من الدنيا فهو معتقد أنّ الشئ لله جلّ وعزّ لا له الّا
هو من طريق حقّ ماخوّله الله تعالى وهو مُبْلى به حتى يقوم
بالحقّ فيه لأنّ النعمة بلاء حتى يقوم العبد بالشكر فيها
ويستعين بها على طاعة الله تعالى وكذلك البلوى والضراء
هو اختبار وبلاء حتى يصبر عليه ويقوم بحقّ الله تعالى فيه،
وكذلك قال بعض الحكماء العلم كلّه بلاء حتى يعمل به،
قال الله عزّ وجلّ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ
وقال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ
ٱلصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ، فالانبياء صلوات الله



عليهم والصالحون من بعدهم الذين أشعرهم الله بأن
أبلاهم فى الدنيا بالسعة وخوّلهم كانوا الى الله جلّ وعزّ
ساكنين لا الى الشئ وكانوا خزّانا لله جلّ ذكره فى الشئ الّذى
ملّكهم ينفذونه فى حقوق الله تعالى غير مقصرين ولا
مفرطين ولا متوانين ولا متأوّلين على الله التاويل وكانوا
غير متلذّذين بما ملّكوا ولا مشغولين القلوب بما ملكوا
ولا مستأثرين به دون عباد الله تعالى، ومن ذلك ما روى
عن سليمن بن داود عليهما السّلام فى ملكه وما أباحه
الله تعالى من الكرامة حين يقول تعالى هٰذَا عَطَآؤُنَا
فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ قال أهل التفسير لاحساب
عَلَيْكَ فى الأخرة وانّما كان عطاء مهينا إكراما من الله عزّ
وجلّ له، فذكر العلماء أنّ سليمن عليه السّلام كان يطعم
الاضياف الحوارى النقى ويطعم عياله الخشكار ويأكل
هو الشعير وكذلك روى العلماء أنّ ابراهيم الخليل صلوات
الله عليه كان لا يأكل الّا مع الضيف فربّما لا يأتيه ثلاثة
أيام الضيف فيطويها وربّما كان يمشى الفرسخ أو أقلّ أو
أكثر تلقّيا للضيف (*) قال وكان أيّوب النبى صلّى الله

عليه وسلّم لا يسمع أحدا يحلف بالله تعالى الّا رجع الى منزله
فكفّر عنه، وروى العلماء أنّ يوسف عليه السّلام كان
على خزائن الأرض فكان لا يشبع فقيل له فى ذلك فقال
أخاف أن أشبع فأنسى الجياع، ولقد روى أنّ سليمن عليه
السّلام بينا هو ذات يوم والريح تحمله والطير تظلّه والجنّ
والانس معه وعليه قميص جديد فلصق ببدنه فوجد اللذّة
فسكنت الريح ووضعته على الارض فقال لها ما لك قالت
انّما أمرنا أن[١] نطيعك ما أطعت الله ففكّر فى نفسه من أين
أتى فذكر فراجع فحملته الريح ولقد روى أنّ الريح كانت
تضعه فى اليوم مرّات من هذا وأشباهه

فالقوم كانوا خارجين من ملكهم فى ملكهم ناعمين
بذكر الله وعبادته غير ساكنين[٢] الى ما ملكوا لا يستوحشون
من فقده إن فقدوه ولا يفرحون بالشئ ولا يحتاجون الى
العلاج والمجاهدة فى إخراجه، قال الله تعالى للنبى صلى
الله عليه وسلّم أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ
وهذا النبى صلّى الله عليه وسلّم سما جبريل عليه السّلام
عنده اذ تغيّر جبريل فاذا ملك قد نزل من السماء لم ينزل

[١] ناقص فى الاصل [٢] شاكنين



قط فقال جبريل عليه السلام خشيت أنّه نزل فىّ بأمر فجاء
الى النّبى صلى الله عليه وسلّم بالسلام من عند الله عزّ وجلّ
وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض تسير معك ذهبا وفضة
مع البقاء فيها الى يوم القيامة ولا تنقصك ممّا لك عند
الله شيئا فلم يختر[١] النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وقال
أجوع مرّة وأشبع مرّة، وعدّ ذلك من الله عزّ وجلّ بلوى و
اختبارا[٢] ولم يره من الله تعالى اختيارا ولو كان من الله تعالى
اختيارا لقبله ولكنّه علم أن محبّة الله تعالى فى الترك
للدنيا والاعراض عن زينتها وبهجتها، وبذلك أدّبه الله
تعالى حين قال تعالى (١٢) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا
بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ، و
يروى عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه لبس حلّة لها علم
فطرحها وقال كادت أن تلهينى أعلامها - أو قال ألهتنى
أعلامها - خذوها واتونى بأنبجانيّة، وكذلك روى أنه
صُنع له خاتم ذهب ليختم به الكتب الى مَن امره الله تعالى
بانذاره فلبسه ثمّ طرحه من يده وقال لاصحابه اليه
نظرة واليكم نظرة، وكذلك روى أنه صلّى الله عليه وسلّم

[١] يختار [٢] واختبار

غيّر شراك نعله فجعل مكانه جديدا فقال ردّوا الشراك الأوّل .

وكذلك كلّ قلب طاهر صاف[1] قد اشرف على الاخرة وعرف قيام الله تعالى عليه يفزع من خفايا السكون الى الدّنيا والتحلّى بشئ منها ومثل هذا فى الاخبار كثير والعاقل الفطين تكفيه الاشارة اليه بالشئ ، وهذا اصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلم حين حثّهم على الصدقة جاء ابو بكر بماله كلّه لأنه كان أقوى القوم فقال له النبى صلّى الله عليه وسلّم ماخلّفت لعيالك قال الله ورسوله ولى عند الله مزيد، أفلا ترى أبا بكر رضى الله عنه انّما كان سكونا الى الله تعالى لا الى الشئ ولم يكن لشئ عنده قدر وكان ما عند الله عنده أسرّ فحين رأى موضع الحقّ لم يخلف منه شيئا وقال خلّفت الله ورسوله ، ثمّ جاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فقال النبى صلّى الله عليه وسلم ماخلّفت لعيالك قال نصف مالى ولله عندى مزيد فقد أعطى نصف ماله ويقول ولله عندى ثمّ عثمان رضى الله عنه يجهّز جيش العسرة كلّه بجميع ما يحتاج اليه ويحفر بئر رومة ، أفلا ترى أن القوم انّما كانوا

[1] صافى



معدّين الشئ لله تعالى وممّا يدلّ على صدق قولنا ان القوم كانوا خارجين ممّا ملكوا وهو فى ايديهم يعدّونه[1] لله عزّ وجلّ (*)
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلّم أنه قال إنا معاشر الانبياء لا نورّث وماخلّفناه صدقة ، أفلا ترى أنهم فى حيوتهم لم يضنّوا بالشئ عن الله عزّ وجلّ وكذلك لم يورّثوه وخلّفوه لله عزّ وجلّ كما كان فى أيديهم لله تعالى لم يحدثوا فيه ولم يخوّلوه من بعدهم أحدا ، وإنّ هذا لبلاغ[2] لمن عقل عن الله تعالى وأنصف من نفسه

وهذا أئمّة الهدى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أبو بكر رضى الله حين ملك الامر وجاءته الدنيا راغمة مِن حِلّها لم يرفع بها رأسا ولم يتصنّع وكان عليه كساء يخلّله وكان يدعى[3] ذو الخلالين ، وهذا عمر بن الخطّاب رضى الله عنه حين جاءته الدنيا راغمة من حلّها وكان طعامه الخبز والزيت وفى ثوبه بضع عشر رقعة بعضها من أدم وقد فتحت عليه كنوز كسرى و قيصر ، وهذا عثمان رضى الله عنه كأنه واحد من عبيده فى اللباس والزىّ ولقد روى عنه أنه رؤى خارجا من بستان

[1] يعدوه [2] لبلاغا [3] يدعا

له وعلى عنقه حزمة من حطب فقيل له فى ذلك فقال
أردت أن أنظر نفسى هل تأبى[1]، أفلا ترى أنه كان غير
غافل عن نفسه وتعاهدها ورياضتها، وهذا على بن أبى
طالب رضى الله عنه فى الخلافة قد اشترى ازارا بأربعة
دراهم واشترى قميصا بخمسة دراهم فكان فى كمّه
طول فتقدّم الى خرّاز فأخذ الشفرة فقطع الكمّ مع أطراف
أصابعه وهو يفرق الدنيا يمنة ويسرة، وهذا الزبير
رضى الله عنه يخلّف حين مات من الدين مائتى ألف أو
أكثر كل ذلك من الجود والسخاء والبذل، وهذا طلحة
بن عبيد الله رضى الله عنه يعطى حلى أهله لمن سأله،
فهذا يدلّ أن القوم كانوا كما قال الله عزّ وجلّ حين امرهم
فقال وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، ولا
يستحيى عبد من عبيد الله من اهل (١٣) زماننا هذا
عند ما ملك من الشبهات التى علم الله تعالى كيف هى و
من أين هى وكيف قدرها فى قلبه وايثاره لها وسكونه اليها
دون الله عزّ وجلّ وما لا يحصى من عيبه فى تقلّبه فى ذلك
واشتغاله بذلك حتى أن أحدهم ليزعم أنه يملك كما

[1] تابا



ملك من مضى ويحتجّ بهم فى اتّباع هواه مع اقامته على
خلاف سنّة القوم، بل الاعتراف لله تعالى بالتقصير من
العبد الغافل أقرب الى النجاة وسؤاله الله عزّ وجلّ أن
يبلغه ما بلغ بالقوم وبالله التوفيق

باب ثمّ الصدق فى الزهد وكيف هو وما هو، ولقد
فضح الله تعالى الدنيا وسمّاها بأسماء لم يسمّها أحد
فقال تبارك وتعالى أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ الاية أفلا[1] يستحيى من[2] يعقل عن الله
تعالى أن يراه ساكنا الى اللهو واللعب فى دار الغرور، قلت
الدنيا فى نفسها ما هى قال اتّفق البصراء من الحكماء أن
الدنيا هى النفس وما هويت والحجّة فى ذلك أنّ الله عزّ
وجلّ قال زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ، فهذه
الامور التى ذكرها الله عزّ وجلّ هى من هوى النفس لذتها
وبها تلهو عن الآخرة وذكرها، فاذا ترك العبد ما تهواه
النفس ترك الدنيا ألا ترى أن العبد قد يكون فقيرا لا شئ

[1] فلا [2] عند

له وهو يتمنّى الدنيا ويهوى مجناها وينوى أن لو أمكنه منها ما يريد لتمتّع بذلك ونال لذّته فهو عند الله تعالى من الراغبين على قدر همّته إلا أنّه أقلّ حسابا ممّن نالها واستمتع بها.

فاوّل درجات الزهد هو الزهد فى اتباع هوى النفس فاذا هانت على المرء نفسه لم يبالِ[1] على أى حال امسى وأصبح اذا وافق محبّة الله تعالى (*) عند ذلك على مخالفة نفسه و منعها من محبوبها من الشهوات واللذّات والراحات ومقارنة الأحبّاء والاخدان والاصحاب من اهل الغفلة إلّا من كان منهم غويّا على ذلك الامر الذى يريده العبد فانّ آفة العبد صحبة من يريد ما يريد، ثمّ أخذ البلغة من الطعام والشراب واللباس والمنزل والنوم والكلام والنطق والاستماع و ترك التمنّى لشئ من الدنيا والحذر من تحلّيها لانّ النبى صلّى الله عليه وسلّم قال الدنيا حضرة حلوة، فيتوهّم العبد فناءها فيقصّر فيها أمله[2] مع توقّع الموت والتشوّف الى الأخرة والشوق الى النزول فى دار بقائها والعمل فى ذلك ولذلك يخلع الراحة من القلب بدوام الفكرة ومن البدن بدوام الخدمة فهذا أوّل درجات الزهد، وقال

[1] يبالى [2] ناقص فى الاصل



سفيان الثورى رحمه الله تعالى ووكيع بن الجرّاح وأحمد بن حنبل وغيرهم رحمهم الله إنّ الزهد فى الدنيا قصر الأمال، وهذا يدلّ على ما قالت الحكماء لانّه من قصّر أمله لم ينعم وكانت الغفلة منه بعيدة، وقالت طائفة من الناس الزاهد فى الدنيا هو الراغب فى الأخرة الذى قد جعلها نصب عينه كأنّه يرى عقابها وثوابها فهو عازف عن الدنيا، وهكذا يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لحارثة كيف أصبحت ياحارثة قال مؤمنا حقّا يا رسول الله فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم وما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسى عن الدنيا فأظمأت لذلك نهارى وأسهرت ليلى وكأنّى انظر الى عرش ربّى بارزا وكأنّى انظر الى اهل الجنّة يتناعمون والى اهل النار يتعاوون فقال النبى صلّى الله عليه وسلّم مؤمن نوّر الله قلبه عرفت فالزم، وقال بعض العلماء الزهد خروج قيمة الاشياء من القلب، والزهد فى الدنيا يدقّ جدّا ويخفى[1] ولكلّ عبد (١٣) على قدر علمه بالله تعالى زهد فمن نفى الرغبة فى الدنيا عن قلبه شيئا بعد شئ

[1] ويخفا

حتى يرى غاية الزهد ومن توانى[1] عن نفسه ولم يخالفها
عند هواها لم يعزف عن[2] الدنيا ولم يشرف على الآخرة، قال
بعض العلماء الزاهد فى الدنيا حقّا لا يذمّ الدنيا ولا يمدحها
ولا يفرح بها اذا أقبلت ولا يحزن عليها اذا أدبرت، قال
أبوسعيد رحمه الله تعالى قال بعض البدلاء رحمهم الله
تعالى لا يكون زاهدا مستكمل الزهد أو يستوى عنده
الحجارة والذهب ولا يستوى الحجارة والذهب حتى
يكون معه من الله تعالى آية فتحوّل الحجارة ذهبا فعندها
يخرج قيمة الاشياء من قلبه، وسمعته يقول لم يستو[3]
الحجارة والذهب عند أحد من الصحابة رضى الله عنهم
بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلّا عند أبى بكر
رضى الله عنه

قلت فعلى أى معنى زهد الزاهدون قال على معان[4] شتى
فمنهم من زهد لفراغ القلب من الشغل وجعل همّه كلّه
فى طاعة الله تعالى وذكره وخدمته فكفاه الله عند ذلك،
فهكذا روى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قال من
جعل الهمّ همّا واحدا كفاه الله سائر همومه، وقال عيسى

[1] توانا [2] ناقص فى الاصل [3] يستوى [4] معانى



عليه السّلام بحقّ أقول لكم إنّ حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة
وفى المال داء كبير قالوا يا روح الله ما داؤه قال لا يعطى
حقّه قالوا فإن أعطى حقّه قال يكون فيه فخر وخيلاء قالوا
فإن لم يكن فيه فخر ولا خيلاء قال يشغله استصلاحه عن
ذكر الله، ومنهم من زهد لخفّة الظهر وسرعة المرّ على
الصراط اذا حبس أصحاب الاثقال للسؤال، فهكذا روى
عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال عرض علىّ أصحابى
ففقدت عبد الرحمن بن عوف - أو قال احتبس علىّ -
فقلت ما بطّأك[1] علىّ قال لم أزل أحاسب بعدل مكثرة
مالى حتى جرى منّى من العرق مالو وردت (*) عليه سبعون
من الابل عطّاش قد اكلت حمضا لصدرت عنه رواء،
وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم من غير طريق أنه
قال الاكثرون هم الاقلّون يوم القيامة إلّا من قال بالمال
هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه
ومن خلفه بين عباد الله، قال صلّى الله عليه وسلّم ما من
غنىّ ولا فقير إلّا ودّ يوم القيامة أنّ الله تعالى كان جعل
رزقه فى الدنيا قوتا، وروى أبوذر عن النبى صلّى الله عليه

[1] بطاءك

کتابخانه تحقیقی
٣١ بهمن ١٣

وسلّم أنه قال ما يسرّنى أنّ لى مثل أُحُد ذهبا أنفقه فى سبيل الله تعالى تأتى علىّ ثالثة يكون منه عندى شئ إلّا دينار أرصده لدين، ومنهم من زهد رغبة فى الجنّة و اشتياقا اليها فسلى عن الدنيا وعن لذّاتها حتى طال به الشوق الى ثواب الله تعالى الذى دعاه اليه ووصفه له عزّ وجلّ، وروى فى الحديث ان الله جلّ ذكره يقول وأمّا الزاهدون فى الدنيا فإنّى أبيحهم الجنّة، وقال بعض العلماء لا تحسن قراءة إلّا بزهد

وأعلى درجات الذين زهدوا فى الدنيا هم الذين وافقوا الله تعالى فى محبّته فكانوا عبيدا عقلاء عن الله عزّ وجلّ أكياسا محبّين سمعوا الله جلّ ذكره ذمّ الدنيا ووضع من قدرها ولم يرضها دارا الأوليائه استحيوا من الله عزّ وجلّ أن يراهم راكنين الى شئ ذمّه ولم يرضه وجعلوا ذلك على انفسهم فرضا لم يبتغوا عليه من الله عزّ وجلّ جزاء ولكن وافقوا الله فى محبّته كرما والله لا يضيع أجر من احسن عملاً، فاهل الموافقة لله تعالى فى الأمورهم أعقل العبيد وأرفعهم عند الله قدرا، وهكذا روى عن



أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال ياحبّذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف غنموا سهر الحمقى وصيامهم ولمثقال ذرّة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من اعمال المغترّين، وفى هذا بلاغ لمن عقل (١٥) عن الله عزّ وجلّ وبالله التوفيق، وروى عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه نظر الى شابّ مصفر فقال له ما هذا الصفار يا غلام قال أسقام وأمراض يا أمير المؤمنين قال لتصدقنى قال أسقام وأمراض قال لتخبرنى قال يا أمير المؤمنين عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها وكأن انظر الى اهل الجنّة فى الجنّة يتزاورون وأهل النار فى النار يتعاوون فقال له عمر انى لك هذا يا غلام قال اتّق الله يفرغ عليك العلم افراغا إنّه لمّا قصر بنا عن علم ما عملنا تركنا العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا لورثنا علما لا تقوم له أبداننا، وروى عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه أنه استسقى فأتى بإناء فلمّا قرّبه الى فيه وذاقه نحّاه ثمّ بكى فقيل له فى ذلك فقال رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم وهو يدفع بيديه كأنّ شيئا

يقع ولا أرى شيئا فقلت يا رسول الله أراك تدفع بيديك
ولا أرى شيئا فقال نعم تلك الدنيا تمثّلت لى فى زينتها
فقلت اليك عنّى فقالت إن تنجو منّى ولن ينجو منّى من بعدك
قال أبو بكر رضى الله عنه فأخاف أن تكون قد أدركتنى
(قال) وكان فى الاناء الذى شرب أبو بكر رضى الله عنه منه
ماء وعسل فبكى اشفاقا من ذلك ، ويروى فى بعض الحديث
انّ اصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم لم يأكلوا تلذّذا
ولم يلبسوا تنعّما وفى رواية أن اصحاب محمّد صلّى الله
عليه وسلّم الّذين اتّسعوا فى الدنيا من بعده حين فتحت
عليهم من حلها أنهم بكوا من ذلك وأشفقوا وقالوا نخاف
أن تكون عجّلت لنا حسناتنا ، فليتّقِ[1] الله عبد ولينصف
من نفسه وليلزم منهاج من مضى وليعترف[2] بالتقصير و
يسأل الله الإقالة

باب ثمّ الصدق فى التوكّل على الله عزّوجلّ ، (*) قال
الله عزّوجلّ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ وقال تعالى وَعَلَى ٱللَّهِ
فَتَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وقال تعالى إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ
ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ، وروى عن النّبى صلّى الله عليه وسلم أنه

[1] فليتقى [2] وليعرف



قال يدخل الجنّة من أمّتى سبعون ألفا بغير حساب وهم
الذين لا يتطيّرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربّهم
يتوكّلون ، وقال عمر بن الخطّاب رضى الله عنه عن النبى
صلّى الله عليه وسلّم لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم
كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، وقال عبد الله
بن مسعود رضى الله عنه العزّ والغناء يجولان فى طلب
التوكّل فاذا أصاباه أوطنا

فالتوكّل فى نفسه وموجوده فى القلب هو التصديق لله
عزّوجلّ والاعتماد عليه والسكون اليه والاطمانينة اليه
فى كلّ ماضمن وإخراج الهمّ من القلب بأمور الدنيا والرزق
وكلّ امر تكفّل الله به والعلم بأنّ كلّ ما احتاج اليه العبد
من امر الدنيا والأخرة فالله مالكه والقائم به لا يوصله اليه
غيره ولا يمنعه غيره مع خروج الرغبة والرهبة والخوف
من القلب متن سوى الله تعالى والثقة به والعلم الخالص
واليقين الثابت أن يد الله المبسوطة اليه الموفية له من
كل ماطلب فلا يصل اليه معروف إلّا من بعد امره ولا يناله
مكروه الا من بعد إذنه ، وهكذا روى عن الفضيل أنه قال

المتوكّل على الله الواثق به لا يتهمه ولا يخاف خذلانه،
وكذلك المتوكّل على الله اذا ملّكه الله تعالى شيئا من
امر الدنيا وفضل عنده لم يذخره لغد إلّا بالنيّة أنّ الشيء
انّما هو لله وموقوف لحقوق الله وهو خازن من خزّان الله
فاذا رأى موضع الحاجة سارع الى الاخراج والبذل و
المؤاساة وكان فى الذى يملك وأخوانه سواء وانّما يجب
ذلك عليه لأهل السترخاصّة والقرابة وأهل التّقوى ثمّ
لعامّ المسلمين اذا رآهم على حال ضرورة (١٦) غيّر نقص حالهم،
وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قال ليس الزهادة
فى الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهد
فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك
واذا أصابتك مصيبة كنت بثوابها أفرح منك بها لو بقيت
عنك، وقال بلال رضى الله عنه جئت الى النبى صلّى الله عليه
وسلّم ومعى تمر فقال ما هذا فقلت شئ ادّخرته لافطارك
فقال أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا أما خشيت
أن يكون له بخار فى جهنّم، ويروى عن عائشة رضى الله عنها
أنها قالت إنى لست كأسماء - يعنى أختها - إن أسماء لا ترفع

لـه عليك



شيئا لغد وأنا أجمع الشئ الى الشئ، وروى عن عائشة أيضا
رضى الله عنها أنها فرقت الدراهم وهى ترفع درعها فقالت لها
خادمتها ألا أبقيت درهما للحم قالت فألا ذكّرتنى، وروت
عائشة رضى الله عنها عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه بات
فى مرضه الذى قبض فيه شبيه بالقلق فلمّا اصبح قال ما فعلت
الذهيبة - وكان قيمتها ستّة وخمسين درهما - فقال أخرجيها
فما ظنّ محمّد بربّه نولقيه وهذه عنده - وروى عن مسروق
رحمة الله عليه أنه قال أوثق ما أكون بالله اذا قالت
الخادم ليس عندنا شئ

قلت فالتوكّل على الله تعالى بالاسباب أو بقطع الاسباب
قال بقطع أكثر الاسباب وتتخطّى الى المسبّب فتسكن
اليه، قلت وهل يتداوى المتوكّل أو يتعالج قال الامر
فى هذا على معان ثلاثة وقد خصّ تبارك وتعالى بترك الدواء
والاسباب طائفة لقول النبى صلّى الله عليه وسلّم يدخل
الجنّة من أمّتى سبعون ألفا بلا حساب هم الذين لا يكتوون
ولا يسترقون وعلى ربّهم يتوكّلون وقال النبى صلّى الله عليه
وسلّم ما توكّل من اكتوى واسترقى وقال صلّى الله عليه وسلّم

لـه وتتخطا لـه واسترقا

(*) من ردّته الطيرة فقد قارن الشرك وقد امر النبى صلّى الله عليه وسلّم بالدواء والرُّقى[1] وأمر بالرقية وقطع لأبىّ بن كعب رضى الله عنه عرقا فهذا على معانى قول المغيرة بن شعبة لم يتوكّل من اكتوى واسترقى من هولاء السبعين ألف الذين خصّهم النبى صلّى الله عليه وسلّم كذلك فسّره بعض العلماء وما كان من سوى ذلك فمباح لهم من سائر الناس وهو غير ناقص من توكّلهم اذا كان معهم العلم والمعرفة و كان نظرهم الى ربّ الداء والدواء إن شاء أن ينفع بالدواء وإن شا أن يضرّ وقد يطلب شفاءه بالدواء فيكون فيه سقمه وقد مات غير انسان من الدواء وقطع العرق ولمّا طلب الشفاء وقد يرجو منفعته فى الشئ فتكون فيه مضرّته وقد يخاف الضرر من شئ فتكون فيه المنفعة، فالصادق واثق متوكّل على ربّه فانّما توكّل عليه حين علم أنه حسبه من جميع خلقه فلم يجد فقد شئ منعه الله لأن الله حسبه وهو

بَالِغُ أَمْرِهِ

قلت فمن قال أتوكّل على الله لأكفى قال لا يخلو هذا القول من معنين معنى أن يكفيه مؤنة الجزع والهلع لا أنه

[1] والرقا [2] ناقص فى الاصل



يتحوّل عنه شئ قد قدره الله عليه أن ينزل به بالتوكّل فهذا قولنا وقول من أثبت القدر ومن قال إنّه يكفيه ما استكفاه لامحالة مثل قوله لا يأكلنى السبع لتوكّلى و الذى يأتينى بطلب يأتينى بلا طلب فالتوكّل يدفع عنّى اذا استكفيته كل مؤنة كنت أخافها فليس يعجبنا هذا القول لأن المتوكّل قد يكفى وقد لا يكفى[1] وتوكّله غير ناقص[2]

قلت مثل ماذا اشرح لى من ذلك شيئا قال نعم حيث ذبحت يحيى بن زكرياء امرأة جبارة فى طشت لم يكن متوكّلا وحين نشر زكرياء صلوات الله عليه بالمنشار لم يكن متوكّلا وكذلك الانبياء عليهم السلام قتلوا ونيل منهم المكروه (١٧) وهم أقوى الخلق يقينا وأصدقه، وهذا محمّد صلّى الله عليه وسلّم حين هرب الى الغار هو وأبو بكر رضى الله عنه فاختبوا فيه وحين كسر المشركون رباعيّته صلّى الله عليه وسلّم وأدموا وجهه لم يكن متوكّلا، أفلا ترى أن التوكّل انّما هو الاعتماد على الله عزّ وجلّ والسكون اليه ثمّ التسليم بعد ذلك لأمره يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وهكذا روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ

[1] يكفا [2] مر

حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قال قاض أمره قَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِكُلِّ
شَيْءٍ قَدْرًا قال أجلا ومنتهى ينتهى اليه العبد وليس المتوكل
بالذى يقول تقضى حاجتى ، فهذا تفسير ابن مسعود رضى الله
عنه يخبر أن المتوكل على الله هو الذى يلجأ الى الله تعالى
ويعلم أنه لايتم شئ إلا من قبل الله تعالى الذى يعطى[له] ويمنع
بقدرته فالمتوكل على الله تعالى لايستوحش فى حالة المنع
ولا يستجلب بالتوكل الاعطاء لأن الحرص لا يعطى ولا يمنع
والله جل وعز مانع ومعطى ، وقد يعطى العبد الشئ بالتوكل
ويمنع وهو متوكل فقد يرى المجوسى والكافر والجاحد و
الفاجر المضيع لأمر الله عز وجل الذى لاصدق له ولا يقين
فقد يرى هازل يكفرون وتقضى لهم الحوائج والمتوكل
الصادق الموقن لاتقضى له حاجة حتى يموت ضراء وهزلاء ،
وانما التوكل ترك السكون الى أسباب الدنيا وإنفاء الطمع
من المخلوقين والاياس منهم حين علم المتوكل أنه صائر
الى المعلوم فرضى بالله تعالى وعلم أنه لايدرك بالتوكل
تعجيل ما أخر الله تعالى ولا تأخير ما عجل ولكنه اكتسب
اسقاط الهلع والجزع واستراح من عذاب الحرص وراض

له يعز



نفسه بأدب العلم والمعرفة وقال ماقدر سيكون ومايكون
فهوات[له] ، وكذلك قال بعض الحكماء انتقم من حرصك بالقنوع
كما تنتقم من عدوك بالقصاص ، وقال بعض الصحابة رضوان
الله عليهم (⁙) دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وفى
البيت تمرة غابرة فقال خذها لو لم تأتها لأتتك ، حدثنا
محمد بن يعقوب قال حدثنا أحمد بن حنبل قال حدثنا مروان
بن معاوية قال حدثنا المعلى عن أنس بن مالك رضى الله
عنه قال أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم طوائر فأطعم
خادما طائرا فلما كان من الغد أتته به فقال ألم أنهك أن
تخبأ رزقا لغد ، فهذا ما لا يسع الناس جهله من التوكل و
غاية التوكل اجل من ذلك

باب ثم الصدق فى الخوف من الله عز وجل ، قال الله تعالى
وَإِيَّايَ فَٱتَّقُونِ وَإِيَّايَ فَٱرْهَبُونِ وقال تعالى فَلَا تَخْشَوُا
ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وقال تعالى يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ
وقال تعالى كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا
وقال تعالى وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا
إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وقال تعالى يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ،

له بادب العلم والمعرفة زائد فى الاصل

وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم خف الله كأنّك تراه قال ذلك لابن عبّاس رضى الله عنه، فالذى يهيج الخوف حتى يسكن القلب هو دوام المراقبة لله عزّ وجلّ فى السرّ والعلانية وذلك لعلمك بأنّ الله تعالى يراك ولا يخفى عليه شئ من حركاتك ظاهرا وباطنا فعند ذلك يجلّ مقامه عليك فى كلّ حركة ظاهرة وباطنة وتحذر أن يرى بقلبك شيئا ممّا لا يحبّه ولا يرضاه بالوقوف منك على همّك اذا كان يعلم ما فى نفسك، فمن ألزم قلبه فى الحركات كلّها أنّ الله تعالى يراه ورجع عن كل ما يكره بعون الله فطهر قلبه واستنار وسكنه الخوف ودام حذره من الله فكان مشفقا فى جميع الاحوال و عظم امر الله تعالى فى قلبه فلم تأخذه فى الله لومة لائم وقلّ وصغر من دون الله فى عينه ممّن ضيّع أمر الله، وذكر الخوف يطول وهذه الاصول الّتى من استعملها تؤديه الى الحقائق فهذا ظاهر الخوف وما بقى من صفته أكثر (١٨)

باب تمّ الصدق فى الحياء من الله عزّ وجلّ، يروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قال الحياء من الايمان وروى عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال الحياء خير كلّه وقال



صلّى الله عليه وسلّم استحيوا من الله حقّ الحياء من استحيا من الله حقّ الحياء فليحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى[1] وليذكر المقابر والبلى ومن[2] أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم استحى من الله كما تستحيى من رجل صالح من قومك، وقال رجل يا رسول الله ما نبدى من عوراتنا وما نذر قال استر عورتك إلّا من أهلك وما ملكت يمينك قال فأحدنا يكون خاليا قال فالله أحقّ أن يستحيى منه، وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذهب الى الخلاء يغطى رأسه ويقول إنّى لأستحيى من ربّى، وهذه أخبار تدلّ كلّها على قرب الله عزّ وجلّ من القوم لأنّ المستحيى من الله تعالى يرى اطّلاع الله تعالى عليه ومشاهدته له فى جميع الاحوال

قلت فالذى يهيج الحياء قال ثلاث خصال دوام احسان الله تعالى اليك مع تضييع[3] الشكر منك ومع دوام اساءتك وتفريطك، والثانية أن تعلم أنّك بعين الله عزّ وجلّ فى منقلبك ومثواك، والثالثة ذكرك لوقوفك بين يدى الله عزّ وجلّ ومسائلته اياك عن الصغير والكبير، قلت

[1] وعا [2] اذا ذكر [3] قلة (فوق)

فالذى يشيد الحياء ويقويه قال الخوف لله عزّوجلّ عند الهوى الخاطر الواقع فى القلب فيفزع القلب ويستوحش عند مايعلم أن الله تعالى يرى مافيه فيثبت الحياء من الله فاذا دام على ذلك زاد الحياء وقوى" قلت فالذى يولد الحياء ماهو قال الفزع من أن يكون الله تعالى عنه معرضا وله ماقتا ولفعله غير راض" قلت فالغالب على قلب المستحيى من ربّه قال اجلال رؤية من يراه فحينئذ يهاب الله عزوجلّ ويستحيى منه، (*) قال أبوسعيد رحمه الله تعالى سمعت بعض المريدين سأل بعض أهل المعرفة قال ما علامة هيبة الله فى قلب العارف بالله قال اذا استوى عنده الأفعى والذباب، قلت فيم يضعف الحياء قال بترك المحاسبة وترك الورع قلت فكيف احوال المستحيى فى نفسه قال طول الخشوع ودوام الاخبات وتنكّس الرأس وانحصار الطرف وقلّة النظر الى السماء وكلال اللسان عن كثير من الكلام والفزع من التكشّف فى الخلاء وترك العبث والضحك والحياء عند اتيان ماأباحه الله، فكيف يذكر عارض ممّا نهى الله تعالى عنه، والناس يتفاوتون فى الحياء على قدر قرب الله تعالى منهم وقربهم منه



باب ثمّ الصدق فى معرفة نعم الله تعالى والشكر له،

قال الله عزّوجلّ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا وقال تعالى وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَا وقال ٱذْكُرُوا نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، فاذا أفاق العبد من الغفلة فكر و نظر الى نعم الله تعالى عليه وتكاملها قديما وحديثا، فأما نعمه القديمة فذكره لك قبل أن تك شيئا وما خصّك به من توحيده والايمان به والمعرفة له فأجرى باسمك القلم فى اللوح المحفوظ مسلما ثمّ أهلك القرون السالفة وجعلك فى شرذمة من المؤمنين ناجية حتى أخرجك فى خير أمّة وأكرم دين ومن أمّته حبيبه محمّد صلّى الله عليه وسلّم ثمّ هداك للسنّة واستعملك بالشريعة وباعدك من الزيغ والاهواء ثمّ ربّاك وكلأك وغذاك حتى وجبت عليك الاحكام فأغفلت نعمته وفرطت فى حفظ وصيّته وركبت هواك من عمرك حينا وفى كل ذاك لايكافيك باساءتك بل يسترك ويحلم عنك وينظرك ثمّ عطف عليك

(١٩) بعد ذلك بعد ما كنت شوودا فأيقظك من الغفلة
وعرّفك ما فاتك من حظّك من طاعتك فوهب لك الانابة
اليه وأجلسك على طيّب مرضاته فوجب عليك الآن شكر
بعد شكر فأى نعماه تحصى وعلى أيّها تشكر ولا بدّ من
معرفة الشكر ومباشرته ، والشكر على ثلاثة وجوه شكر
القلب وشكر اللسان وشكر البدن فأما شكر القلب فهو أن
تعلم أن النعم من الله وحده لا من غيره ، وأما شكر اللسان
فالحمد والثناء عليه ونشر آلائه وذكر احسانه ، وأما شكر
البدن فلا تستعمل جارحة أصحّها الله تعالى وأحسن خلقها
فى معصية بل تطيع الله تعالى بها وكذلك كلّ ما خوّلك و
ملّكك من الدنيا جعلته عونا لك على طاعته ولم تحوّله
فى باطل ولم تنفقه فى سرف ثمّ تبذل لله عزّ وجلّ ذكره و
عزّ جدّه الخدمة وتعطيه الجهد من نفسك ، وهكذا يروى
عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قام حتى تورّمت قدماه
فقيل له يا رسول الله ما هذا التعب أليس قد غفر الله لك
قال أفلا أكون عبدا شكورا ، وقال الله عزّ وجلّ إِعْمَلُوا
آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وقال تعالى لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ،



فاذا بلغ العبد من الشكر لله عزّ وجلّ غاية انقطع فنظر فاذا
شكره نعمة من الله تعالى تحتاج الى أن يشكر الله تعالى
عليها اذ جعله من الشاكرين فعمل عند ذلك فى شكر الشكر
ثمّ كاد أن يتحيّر تواترت عليه من الله تعالى الالطاف بالبرّ
والكرامات ، وبلغنا أنه فيما ناجى به موسى عليه السّلام
ربّه عزّ وجلّ قال يا ربّ أمرتنى بالشكر على نعمتك وانّما
شكرى اياك نعمة من نعمك فأوحى الله اليه لقد علمت
العلم اذ علمت أنّ ذاك منّى فقد شكرتنى ، وقال عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه ذكر النعمة شكرما فدلّت (*)
النعم على محبّة المنعم

باب ثمّ الصدق فى المحبّة ، وقد أجمع الحكماء أنها
تستخرج من ذكر النعم ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قال أحبّوا الله لما يغذوكم
من نعمه وأحبّونى لحبّ الله وأحبّوا أهل بيتى لحبّى ، و
قال الله عزّ وجلّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ، وبلغنى
أنّ الله عزّ وجلّ أوحى الى عيسى عليه السّلام يا عيسى بحقّ
أقول لك إنّى أحبّ الى عبدى المؤمن من نفسه التى بين

جنبيه ، وبلغنا عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنّ ناسا قالوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يا رسول الله إنّا نحبّ ربّنا حبّا شديدا فجعل الله تعالى لمحبّته علما و أنزل عزّوجلّ فَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ، فمن صدق المحبّة اتّباع الرسول صلّى الله عليه وسلّم فى هديه وزهده وأخلاقه والتأسّى به فى الامور والاعراض عن الدنيا وزهرتها وبهجتها فانّ الله عزّوجلّ جعل محمّدا صلّى الله عليه وسلّم علما ودليلا وحجّة على أمّته

ومن صدق المحبّة لله تعالى ايثار محبّة الله عزّوجلّ فى جميع الامور على نفسك وهواك وأن تبدو فى الامور كلّها بأمره قبل أمر نفسك ، وبلغنا أنّ موسى عليه السّلام قال يا ربّ أوصنى قال الله عزّوجلّ أوصيك بى قال يا ربّ كيف توصينى بك قال لا يعرض لك أمران أحدهما لى والآخر لنفسك إلّا آثرت محبّتى على هواك ، فالمحبّ لله قد جعل ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه فرضا على نفسه فهو يتفرّغ من الغفلة ويستغفر منها وكذلك جوارحه انّما هى وقف لخدمة من أحبّه فهو غير ساهٍ[1] ولا لاهٍ[2] وانّما همّه أن يرضى من أحبّه فقد

[1] ساهى [2] لاهى



بذل المجهود فى موافقته فى اداء فرائضه واجتناب مناهيه فهو متزيّن له بكلّ طاقته حذرا من أن يأتى (۲۰) عليه أمر يسقطه من عين من أحبّه ، وهكذا روى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم من غير طريق أنه قال يقول الله عزّوجلّ ما تقرّب الىّ عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال يتقرّب الىّ بالنوافل حتى أحبّه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا و مؤيدا دعانى فأجبته ونصح لى فنصحت له ، فعلامة المحبّ الموافقة للمحبوب والتجارى[1] طرقاته فى كلّ الامور والتقرب اليه بكلّ حيلة والهرب من كلّ ما لا يعينه على مذهبه

قلت فالمحبّة على قدر النعم قال المحبّة بدوها من ذكر النعم ثمّ على قدر المنعم على قدر ما يستحقّ لأنّ المحبّ لله تعالى يحبّ الله تعالى عند النعم وعند فقدها وعلى كل حال حبّا صحيحا منعه أو أعطاه أو ابتلاه أو عافاه فالمحبّة لازمة لقلبه على حالة واحدة فى العقد ثمّ هى الى الزيادة أقرب ، ولو كانت على قدر النعم لنقصت المحبّة اذا نقصت النعم فى وقت الشدائد ووقوع البلاء لكن المحبّ لله تعالى الذى وله عقله بربّه واشتغل برضاه[2] فكان فى شكره لله وذكره

[1] والتجرى [2] برضايه

حيرانا كأنه ليست نعمة على احد إلّا وهى عليه وهو مشغول
بحبّه لله عزّ وجلّ عن كل الخلق وقد اسقطت المحبّة لله
تعالى عن قلبه الكبر والغلّ والحسد والبغى وكثيرا[1] ممّا
يعنيه من أمر الدنيا من مصلحة فكيف يذكر ما لا يعنيه،
قال بعض الحكماء من أعطى من المحبّة شيئا[2] فلم يعط[3] مثله
من الخشية فهو مخدوع، وروى عن الفضيل بن عياض
رحمه الله أنه قال الحبّ أفضل من الخوف، (قال) وحدّثنا
اسمعيل بن محمّد قال حدّثنى زهير البصرى قال لقيت
شعوانة فقالت لى ما أحسن طريقتك إلّا أنك تنكر المحبّة
(قال) قلت ما أنكرها (قال) فقالت لى أتحبّ ربّك فقلت
نعم قالت فكيف تخاف ألّا يحبّك وأنت تحبّه قلت أنا أحبّه
لما أولانى وما ندانى من معرفته ونعمه (*) ولى ذنوب أخاف
أن لا يحبّنى لما كسبت فغشى عليها ثمّ أفاقت فقالت زه،
قال أبو سعيد رحمه الله تعالى ما أحسن ما قال هذا الرجل
هذا كلام صحيح

قال أبو سعيد قدّس الله روحه قال رجل من رفعاء
البدلاء من يحبّ الله كثير الشأن فيمن يحبّه الله، وبالله

[1] وكثير [2] شى [3] يعطا



التوفيق وفى هذا بلاغ لمن أعانه الله تعالى وسدّده وما بقى
من صفات المحبّين أكثر

باب تمّ الصدق فى الرضا عن الله عزّ وجلّ، قال الله عزّ
وجلّ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا، قال بعض العلماء رحمهم الله تعالى ما شهد الله
تعالى لهم بالايمان حين لم يرضوا بحكم نبيّه فكيف اذا لم
يرضوا بحكمه عزّ وجلّ، قلت فما علامة الرضا فى القلب و
ما موجوده[1] قال سرور القلب بمرّ القضاء، وقال بعضهم الرضا
تلقّى المصائب بالرجاء والبشر، وروى عن أنس بن مالك رضى
الله عنه أنّه[2] قال كنت خادم النبى صلّى الله عليه وسلّم فما
قال لى لشئ قط لم فعلت أو ألا فعلت انّما كان يقول كذا قضى
وكذا[3] قدّر، وروى عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أنه
قال ما أبالى على ما أصبحت[4] وما أمسيت على ما أحبّ أو على ما
أكره لأنى لا أدرى أيهما خير لى، وقال عمر أيضا لو أنّ الصبر
والشكر بعيران لى ما أبالى على أيهما ركبت، فهذا يدلّك
على الرضا من قول عمر رضى الله عنه لأنّ الصبر لا يكون إلّا

[1] وجوده [2] ناقص فى الاصل [3] وكذى [4] صبحت

على ما يكره والشكر لا يكون إلّا على ما يحبّ فقال لا أبالى
أيهما وقع لى وذلك لاستواء الحالين عنده، ويروى عن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال حبّذا المكروهات
وأيم الله ما هو إلّا الغنى والفقر وإن حقّ كلّ واحد منهما
لواجب إن كان الغنى أن فيه العطف وإن كان الفقر أن
فيه الصبر، (٢١) وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
أصبحت ومالى فى الامور من اختيار، وقال بعضهم ومالى من
النعم سوى مواقع القدر فىّ كائنا ما كان، (قال) وكان قد سقى
السمّ فقيل له تعالج فقال لو علمت أنّ شفائى فى أن أمسّ أنفى
أو أذنى ما فعلت، وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم لابن مسعود
رضى الله عنه يا ابن أمّ عبد لا يكثر همّك ما يقدّر يكن وما
ترزق تأكله، وقال النبى صلّى الله عليه وسلّم فى قصّة
طويلة لابن عباس رضى الله عنهما فإن استطعت أن تعمل لله
بالرضا فى اليقين وإلّا ففى الصبر على ما تكره خير كبير، أفلا ترى
أنه صلّى الله عليه وسلّم دعاه الى أعلى الحالين، وقال بعض
الحكماء اذا استتمّ فى العبد الزهد والتوكّل والمحبّة واليقين
والحياء صحّ له الرضا، وهو عندنا كما قال وإلّا فهو مع الناس



أوقات وخطرات على قدر ايمانهم ثمّ يعودون الى الصبر،
وقال بعضهم الرضا قليل ومعول المؤمن الصبر
فقلت اشرح لى قول الحكيم الراضى يتلقّى المصائب بالبشر
والسرور قال إنّ العبد لما صدق فى محبّته وقعت بينه وبين
الله تعالى المفاوضة والتسليم فزالت عن قلبه التهم وسكن
الى حسن اختيار من أحبّه ونزل فى حسن تدبيره وذاق طعم
الوجود به فامتلأ قلبه فرحا ونعيما وسرورا فغلب ذلك ألم
المصائب والمكروه والبلوى فصار اسم البلوى عليه معلقا[1]
فيستخرج منه اذا نزل به أمور كبيرة فتارة يتنعّم بعلمه
به اذا علم أنه يراه فى البلوى وتارة يعلم أنه ذكره فابتلاه
ولم يغفل عنه على عظيم[2] قدره أن يولى من أمره ما فيه الصلاح
فيراه تارة يشكو اليه شكوى المحبّ الى حبيبه وتارة يأنّ
اليه وتارة يطمع أن يراه راضيا عنه، فهكذا قال (*) جلّ ذكره
يَا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ إِرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً،
فالرضا تعجّله العقلاء عن الله عزّ وجلّ فى الدنيا قبل الآخرة
فخرجوا من الرضا الى الرضا، وهكذا قال عزّ وجلّ رَضِىَ ٱللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ الآية، فقد ذكرنا بعض

[1] معلق [2] عظم

صفات الراضين من ظاهر ما أمكن أن يذكر مثله فى كتاب و
ما بقى من صفاتهم أكثر وبالله التوفيق

باب ثمّ الصدق فى الشوق الى الله عزّ وجلّ، روى عن
النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه كان يقول فى دعائه اللهمّ
إنّى أسألك لذّة العيش بعد الموت والنظر الى وجهك و
الشوق الى لقائك، وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه
كان يقول أحبّ الموت اشتياقا الى ربّى، وروى عن حذيفة
رضى الله عنه أنه قال عند الموت حبيب جاء على فاقة لا
أفلح من ندم، وروى عن شهر بن حوشب رضى الله عنه
أنه قال أخذت معاذ رضى الله عنه قرحة فى حلقه فقال
اخنق خنقك فوعزّتك إنّى أحبّك، (قال) وكان على بن سهل
المدائنى[له] رحمه الله يقوم اذا هدأت العيون فينادى بصوت
له محزون يامن اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند
لقائه ندما ويامن سهت قلوب عباده عن الاشتياق اليه اذ
كانت أياديه اليهم قبل معرفتهم به ثمّ يبكى حتى تبكى
لبكائه جيرته ثمّ ينادى ليت شعرى سيّدى الى متى تحبسنى
ابعثنى سيّدى الى حسن وعدك وأنت العليم أنّ الشوق

له المدنى



قد برّح بى وطال علىّ الانتظار ثمّ يخرّ مغشيا عليه فلا يزال
كذلك حتى يحرك لصلاة الصبح، (قال) وكان الحارث بن
عمير رحمه الله يقول اذا أصبح أصبحت ونفسى وقلبى مصرّ
على حبّك سيّدى ومشتاق الى لقائك فعجّل بذلك قبل أن
يأتينى سواد الليل فاذا أمسى قال مثل ذلك فلم يزل على
مثل هذا الحال ستّين سنة (٢٢) فالمشتاق الى الله تعالى
هو المتبرّم بالدنيا والبقاء فيها وهو محبّ للموت وانقضاء
المدّة والأجل، ومن علامته التوحّش من الخلق ولزوم
العزلة والانفراد بالوحدة ومن شأنه القلق والحنين و
الحزن والنحيب والكمد والغصّة المنكسرة فى الصدر
بشدّة الشّغف والكلف والهذيان بذكر المحبوب والارتياح
اليه والفكرة الصافية بهيجان الهمّة وجولان الروح فى
الغيوب لطلب اللقاء والبهت والدهش والحيرة عند توهّم
الظفر بالأمل من المأمول ونسيان حظّه من الدنيا والأخرة
إلّا رؤية من هو اليه مشتاق نعم ثمّ يعارضه الأن الخوف
الذى هو الخوف أنه لا يصل الى محبوبه ويخاف أن يقطع
به دونه ويحال بينه وبينه ويحجب عنه ثمّ يخاف أن

کتابخانه نجفی



تحدث حادثة اذكان فى دار البلوى فقد طالت عليه الأيّام والليالى الى أن يخرج من الدنيا سالما على الامر الذى يرضى مولاه ، فهذا بعض مايمكن ذكره[1] من صفات المشتاقين و مابقى من نعتهم أكثر وبالله التوفيق

باب ثمّ الصدق فى الأنس بالله تعالى وبذكره وقربه،

قال بعض الحكماء الانس[2] بالله جلّ ثناؤه أرق وأعذب من الشوق لأنّ المشتاق كان بينه وبين الله تعالى مسافة خفيفة لعلّة شوقه والمستأنس أقرب من الله عزّ وجلّ ، وهكذا روى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم حين أتاه جبريل عليه السلام فى صورة رجل فسأله عن الاسلام والايمان ثمّ سأله عن الاحسان فقال له النبى صلّى الله عليه وسلّم تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك فقال له صدقت، وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال لابن عمر رضى الله عنه اعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك ، (*) وانّما دلّه على قرب الله عزّ وجلّ وقيامه عليه، ومن قرب الله تعالى تستخرج حقائق الامور فى كلّ مقام، فمن كان مقامه الخوف أدركه من قرب الله تعالى حين علم

[1] ناقص فى الاصل [2] والانس



أنه يراه الحذر والفرق والخشية ، ومن كان مقامه المحبّة أدركه من حقائق قرب الله تعالى حين علم أنه يراه الفرح و السرور والنعيم والمسارعة فى طلب رضاه والقربة ليراه منافسا راغبا يريد القربة اليه والمبالغة فى محبّته، والصابر فى وقت بلواه ومصيبته ومايتحمّله لسيّده ممّا يقرّبه من ثوابه حين سمع الله عزّ وجلّ يقول إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ وقال تعالى وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا سهل عليه عند ذلك معالجة الصبر واحتمال مؤنته ، وكذلك اهل كل مقام عبدوا الله تعالى على القربة وذلك حين أيقنوا وهم الذين لايكادون يصلون ولايرجعون ، وأمّا العامّة من الناس فإنّهم عملوا على ماانتهى اليهم من الامر والنهى على رجاء ضعيف فخلطوا ولم يحقّقوا

فمن صدق الانس مايروى عن عروة بن الزبير رحمة الله عليه أنه خطب الى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ابنته وهو يطوف ببيت الله الحرام فلم يجبه ابن عمر ولم يردّ عليه جوابا ثمّ لقيه عبد الله بعد ذلك فقال له إنّك كلّمتنى فى الطواف ونحن نتخيّل[1] الله بين أعيننا ، فالمستأنس كأنّه

[1] نتخايل

ينظر الى ما اشتاق اليه المشتاق، ويروى عن عبد الواحد بن
زيد البصرى رحمه الله تعالى أنه قال لأبى عاصم الشأمى رضى
الله عنه ورحمه أما تشتاق الى الله تعالى قال لا انما تشتاق
الى غائب فاذا كان الغائب شاهدا فالى من تشتاق فقال عبد
الواحد سقط الشوق، وروى عن داود الطائى رحمه الله تعالى
وكان من أئمة المسلمين (٢٣) الذين أجمعوا على صدقه
وعدالته قال أيضا انما تشتاق الغائب، قال بعض العلماء
رحمه الله وانما قالوا هذا من حقائق الوجود لقرب الله عزّ
وجلّ كأنهم معه اذ كان معهم شاهد لا يغيب وذلك من الله
تعالى تسكين وتطمين ورحمة وراحة عجّلها لهم فى الدنيا
والّا فما الذى وصل اليهم من الله عزّ وجلّ من قربة

فمن علامة المستأنس بالله تعالى وبقربه أن يكون
واجدا لذكر الله عزّ وجلّ فى قلبه واجدا لقربه منه لا يفقده
على كل حال وفى كلّ وقت وكل موطن ويكون الله عزّ وجلّ
وقربه السابق اليه قبل الاشياء وذلك اذا سكن قلبه نور
قرب الله تعالى منه فيه ينظر الى الاشياء وبه يستدلّ على
الاشياء، وهكذا يروى عن عامر بن عبد الله رضى الله عنه



أنه قال ما نظرت الى شئ قطّ إلّا كان الله تعالى أقرب الىّ
منه، ومن صفات المستأنس أن يكون متبرّما بالأهل و
الخليقة كلّهم مستعذبا للخلوة والوحدة ويكون فى البيت
المظلم متبرّما بالمصباح اذا رآه بل يجيف بابه ويسبل ستره
ويواحد قلبه ويألف قرب مليكه فيكون به أنيسا وبمناجاته
متنعّما ويكون متفرّغا من طارق يطرقه فينقص عليه
خلوته نعم ثمّ تراه مستوحشا من ضوء الشمس اذا دخل
عليه فى صلاته ويتثاقل تلقاء الخلق ويملّهم ويكون
لقاؤهم ومجالستهم عليه غراما وخسارا فاذا جنّه الليل
ونامت العيون وهدأت[1] الحركات وسكنت حواسّ الاشياء
خلا عند ذلك ببثّه فهاج شجوه وتصاعدت أنفاسه وطال
أنينه وتنجّز الموعود من مأموله وما قد غذاه من فوائده
وألطافه فظفر عند ذلك ببعض سوله وقضى بعض أوطاره
(*) وكذلك المستأنس تذهب عنه الوحشة فى المواطن
التى يفزع فيها الناس فيستوى عنده العمران والخراب و
القفار والجماعة والوحدة وذلك للذى استولى عليه من
قرب الله عزّ وجلّ وعذوبة ذكره ويغلب ما سواه من العوارض

[1] وهدت

الظاهرة والباطنة، فهذا ظاهر الانس الذى يمكن أن يذكر
وما بقى من مقامات الانس أكثر وأعز من أن يكون فى كتاب
إلّا أن يجرى منه شئ عند المذاكرة مع أهله وبالله التوفيق

واعلم أيها السائل عن الصدق وشرحه أن الذى ذكرته
لك انّما هو ظاهر الصدق والصبر والاخلاص الذى لا يسع
الناس جهله ولا ترك العمل به خاصّة المريدين من الناس
الطالبين لسلوك سبيل النجاة ومن الناس من لا يكون له
عند الله تعالى إلّا هذا العلم الظاهر والعمل الظاهر فيفعل
فى ذلك ويصدق فيه فيؤديه ذلك الى رحمة الله تعالى و
ثوابه وله عند الله خير كثير، ومن الناس من يصدق فى
هذه المقامات التى ذكرناها وأكثر فيؤديه ذلك فى
عاجل الدنيا الى المقام الرفيع والعلم بالله والمقام الشريف
فيصير الى الروح والراحة والنعمة بمعرفة الله عزّ وجلّ و
الظفر بقرب الله تعالى والوصول الى المنزلة الشريفة التى
يدقّ وصفها وشرحها، وقال بعض العلماء بالله تعالى إنّ
الله يكرم أولياءه بكرامة لا يطّلع عليها العباد لا فى الدنيا
ولا فى الأخرة، ألم تسمع لقول الله عزّ وجلّ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ



مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ، ويقال فى الحديث فيعطون ما
لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهكذا
كل قوم على أقدارهم، ومنهم من لا تنقضى كرامته من ثواب
الله تعالى ومن النعيم فى الجنان ومنهم من لا تنقضى كرامته
من الله تعالى (٢٤) والزيادة من برّه والنظر اليه، وقد صحّ
الخبر عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه قال إنّ أدنى أهل
الجنّة منزلة من ينظر فى ملكه ألفى عام يرى أقصاه كما
يرى أدناه، ومنهم من ينظر الى وجه الله جلّ وعزّ كلّ يوم
مرّتين، ومحال أن يكونوا هولاء سواء وكان علمهم فى الدنيا
سواء، قال جلّ ذكره وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ فلم يقع التفضّل على الخلق إلّا بفضل علمهم بالله
تعالى والمعرفة به ثمّ على قدر هذا الأناس تفاوتوا فى
الدنيا والأخرة وبالله التوفيق

قلت فهل يصير[1] العبد الى حال يفقد مطالبة الصدق
من نفسه ويسقط عنه مؤنة الاعمال وأثقال الاخلاص
ومؤنة الصبر ويكون عاملا بالصدق فأخذ[2] ممّا ذكرت
وأكثر بلا اشتغال ولا تعب قال نعم ألم تسمع الحديث

[1] يصر [2] فاحا

الذى يروى انّ الجنّة حفّت بالمكاره وحفّت النار بالشهوات ،
ويروى فى خبر آخر إنّ الحقّ ثقيل مرئ وانّ الباطل خفيف
وبئ ، والنفس مجبولة بحبّ هذه الدار والسكون اليها
وحبّ الدعة والراحة فيها والحقّ واتّباعه والعمل به و
الصدق وأخلاقه فذلك كلّه هو خلاف محبوب النفس فاذا
عقل العبد عن الله تعالى وفهم مادعاه اليه من العزوف عن هذه
الدّار الفانية والرغبة فى الدار الباقية حمل عند ذلك
نفسه على احتمال المكاره من ركوب طريق الصدق وعزم
على بذل المجهود وصبر لله تعالى وكابد نفسه واستعان
بالله تعالى فنظر الله تعالى اليه راغبا فيما لديه حريصا
على أن يرضيه وعاد[1] عليه عند ذلك بلطفه وعونه فسهّل
عليه العسير ممّا استعصب من نفسه وأبدله بالمرارة
حلاوة وبالثقل خفّة وبالخشونة لينا ودعة (*) فسهل
عليه قيام الليل وصارت المناجاة لله تعالى والخلوة بخدمته
له نعيما بعد شدّة المكابدة وصار الصيام والظمأ فى
الهواجر خفيفا عليه حين ذاق عذوبة مارجا من روح الله
تعالى وحسن عاقبته وكذلك تبدّلت وسهلت الاخلاق والاحوال

[1] عاد



عليه حين قام له من كل مقام عاناه وكابده لله تعالى التماس
رضاه عوضا مكانه من الخير فتغيّرت عند ذلك أخلاقه و
انتقل طبعه وهدأت[1] نفسه وانتعش عقله وسكنه نور
الحقّ فألفه ونفر عنه الهوى وطفئت ظلمته فصار عند
ذلك الصدق وأخلاقه طبعا له لا يحسن[2] غيره ولا يألف[3] إلّا
ايّاه ولا يسكن[4] الى غيره واكتنفته العصمة من ربّه فضعف
عند ذلك كيد عدوّه وصار مغلوبا حين ماتت دواعيه من
الباطل وكلّ سلاحه بموت الهوى وانقياد النفس حين
تخلّقت بأخلاق المرحومين ، قال الله جلّ ذكره حين أخبر
عن يوسف عليه السلام إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ، فأنفس الانبياء والصديقين عليهم السّلام
مرحومة معصومة وكذلك كل مؤمن على حسب قوّة ايمانه
فسقطت عند ذلك عن العبد معاناة[5] الصدق وثقل العمل
به فصار عاملا بالصدق الذى ذكرناه وأكثر بأضعاف كثيرة
بلا مؤنة بل صار ذلك نعيما وغذاء إن تركه توحّش من تركه
وتفزّع من فقده فصار الصدق وأخلاقه صفة له لا يحسن
غيرها حتى كأنه لم يزل كذلك ومصداق ذلك فى الكتاب

[1] وهدت [2] تحسن [3] تالف [4] تسكن [5] معاية

والسنّة موجود قال الله تعالى وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ وقال عزّ وجلّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ (٢٥) لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وقال عزّ وجلّ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وقال عزّ من قائل وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ عن الدنيا وإنما أردنا أن نثبت المجاهدة للنفوس و بذل الجهد فى الصدق ثمّ ان المعونة من الله تأتى من بعد ذلك والحجّة فى ذلك قائمة فى السنن، قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير سورة طه قال معنى طٰهٰ يا رجل بلسان الحبشية مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ قال لتعنى به، أفلا ترى أنه حين قام صلّى الله عليه وسلّم لله عزوجلّ شكرا حتى تورّمت قدماه شكر لله تعالى فأمره بالهدوء، وقد روى أن النبى صلّى الله عليه وسلّم كان

لـه ناقص فى الاصل لـه ولا



يتعبّد فى جبل حراء الشهر وأكثر وكذلك يروى أنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم كان يحرس ويحفظ من عدوّه حتى نزلت هذه الاية وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ فنحّى الحرس تصديقا لقول الله عزّ وجلّ حين ذكره له أنه يعصمه فأيقن وسكن صلّى الله عليه وسلّم وكذلك المؤمنون يأتيهم اليقين بعد الضعف، وكذلك النبى صلّى الله عليه وسلّم كان يخرج الى الغار بالجبل الذى يقال له ثور ويخبئ هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ثمّ يخرجان الى المدينة هاربين فى السّر وهذا انما كان وقت البلوى من الله تعالى له اذ كان عليه السلام فى مقام الصبر والمجاهدة ثمّ من بعد ما صار الى المدينة عليه السلام تغزوه قريش يوم وقعة أحد تقتل أصحابه وتكسر رباعيّته عليه السّلام وتدمى وجهه، أفلا ترى انّ الهوى (*) والمحنة لازمة له وللمؤمنين طالبة لهم، ثمّ إنّه صلّى الله عليه وسلّم يخرج هو وأصحابه فيهلّ ويسوق الهدى يريد العمرة فتمنعه قريش من دخول مكّة حتى اضطرب النّاس فأحلّ بالموضع الذى يسمّى الحديبية ورجع ولم يدخل الحرم، ثمّ انظر الأن حين انقضت مدّة البلاء و

لـه فنحّا لـه ويدما

جاء النصر كيف دخل مكّة صلّى الله عليه وسلّم فقتل و
أمّن من شاء ثمّ نشر عندها بالمغفرة فأنزل الله عزّ وجلّ
إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ[1] مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ الآية

وهذا موسى صلّى الله عليه وسلّم ومنزلته عند الله
فانظر الى عظيم بلائه حين حملت به أمّه كيف ذبحت
النساء وقتل الولدان فى طلب موسى عليه السلام فرجع
بلاؤه على الخليقة ثمّ أخبر الله عزّ وجلّ عنه فقال فَأَصْبَحَ
فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ وقال إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ
بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا
خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، ثمّ
انظر أيّها المريد الطالب للوصول[2] الى كرامة الله عزّ وجلّ
بالتوانى والتفريط ألم يبلغك أنّ موسى عليه السلام لم
يصل الى امرأته حتى رعى الغنم وخدم عشر سنين ثمّ أرسله
الله تعالى وكلّمه وأظهر برهانه فقال لَا تَخَافَا إِنَّنِي
مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فحين قال لهما لَا تَخَافَا هل خافا
ألم يجعل لهما آية فى عصا[3] فظهرا على كيد السحرة وهزما

[1] الله لك [2] الوصول [3] عصى



الجيوش ثمّ أداله الله تعالى من أعدائه وأغرقهم أجمعين

وهذا يوسف عليه السّلام حين أخبر الله تعالى عنه أنه
يلقى فى الجبّ ثمّ يباع بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا
فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ثمّ لم يفارقه البلاء[1] حتى فتن بامرأة
العزيز وسجن السنين الكثيرة، ثمّ انظر كيف أداله الله
تعالى (٢٦) على أخوته ثمّ أخرجهم الله تعالى فأظهر برهانه
وجعله على خزائن الارض، وكذلك الانبياء الذين[2] ذكرهم
الله عزّ وجلّ عليهم السلام وفى هذا بلاغ لمن فهم عن الله
عزّ وجلّ وعن العلماء الادلّاء على الطّريق الى الله عزّ وجلّ

وهذا عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وما روى عنه
أنه ما سلك طريقا قطّ إلّا سلك الشيطان طريقا غيرها و
قال إنّ الشيطان ليفرّ من جبين عمر وقد كان بالامس من
اللات والعزى فى امور ترضى الشيطان، فانظر كيف أخلص
لله تعالى وصدّق إن كان منه العدوّ وباطله، وروى عن
ثابت البنانى رحمة الله عليه أنه قال كابدت القرآن
عشرين سنة وتنعّمت به عشرين سنة، وقال بعض الحكماء
إنّ القوم لم يزالوا يمضون[3] الصبر حتى صار عسلا، وقال بعض

[1] البلى [2] الذى [3] يمضوا

الحكماء إنّ دون كل برّ عقبة فمن تجشّم ركوبها أفضت به
الى الراحة ومن هاله ركوب العقبة فلم يرقها بقى مكانه

قلت فلا بدّ من هذا البلوى والاختبار قال لابدّ منه لكلّ
عبد رفيع القدر عند الله عزّ وجلّ من اهل المعرفة بالله عزّ
وجلّ، وقد صحّ الخبر عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنه سئل
من أشدّ الناس بلاء قال الانبياء ثمّ الصالحون ثمّ[1] الامثل
فالامثل، يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان فى ايمانه قوّة
شدّد عليه البلاء[2] وإن كان فى ايمانه ضعف خفّف عليه
البلاء فالانبياء عليهم السّلام باداهم الحقّ عزّ وجلّ بكرامة
الرسالة وبشّرهم بالنبوّة ثمّ حمل عليهم البلاء[3] فاحتملوا
البلاء[4] بقدر الكرامة التى أكرمهم بها حتى راضهم بالبلاء
وتفقّهوا فيه وبه صبروا لله عزّ وجلّ حتى نصروا، والمؤمنون
قامت لهم الرغبة فى ثواب الله عزّ وجلّ الذى وعدهم و
الرهبة من عقابه الذى به تواعدهم فصبروا لله تعالى و
أخلصوا وصدقوا فشكرا لله تعالى لهم ذلك وأظهر برهانهم
على الخليقة فجعلهم علماء يقتدى بهم وأسكن اليقين
قلوبهم، (*) ثمّ إنّ المؤمنين بعد ذلك على وجهين،

[1] ناقص فى الاصل [2] البلى [3] البلى



فمنهم من يبدأه الله تعالى بالنعمة والمنّة والموهبة فيهب
له الانابة ويحبّب اليه البرّ ويسهّل عليه الطاعة ويبدأ
بالمنن الكثيرة فاذا تمكّن الروح فى قلبه واستعذب الاعمال
الصالحة حمل عليه بعد ذلك البلاء والاختبار والمصائب
والضرّاء والعسر والشدّة نعم ثمّ تؤخذ منه الحلاوة التى
كان يجدها والنشاط فى البرّ فثقل عليه الطاعة بعد خفّتها
ويجد امرارة بعد الحلاوة والكسل بعد النشاط والكدر
بعد الصفاء، ذلك لعلّة البلوى والاختبار فتعترية الفترة،
فإن جاهد الآن وصبر واحتمل المكروه صار الى حدّ الراحة
والبلوغ وأضعف له البرّ ظاهرا وباطنا، وهكذا يروى
فى الحديث إنّ لكلّ شرّة فترة فمن كانت فترته الى سنّة
فقد نجا ومن كانت فترته الى بدعة فقد هلك، وقال أبوبكر
الصدّيق رضى الله عنه طوبى لمن مات فى النأناة بدو
الاسلام وشرّته، ويروى فى الحديث ان الله عزّ وجلّ
يأمر جبريل عليه السلام فيقول اقبض حلاوة الطاعة من
قلب عبدى فإن تأسّف عليها فردّها عليه وزده والّا فدعه،
ويروى فى حديث اخر انّ الله عزّ وجلّ يقول إنّ أدنى ما اصنع

بالعالم اذا ركن الى الدنيا أن أنزع حلاوة مناجاته ايّاى
من صدوره وأن أدعه فى الدنيا حيرانا، وفى خبر آخر ان العبد
اذا ركن الى الدنيا بعد العلم والمعرفة والعلم بالبصيرة يقول
الله عزّ وجلّ لجبريل عليه السلام انزع حلاوة مناجاته ايّاى
من صدره وأعطه من الدنيا مقصما يشتغل به عنّى، وأما
العبد الثانى فإنه يبدأ بالصدق والاعمال الصالحة[1] و
أخلاق الصدق ثمّ يعمل فى ذلك ما شاء الله عزّ وجلّ فتأتيه
الكرامة بعد ذلك فيعطيه الله تعالى مالم يرجه[2] ويحتسبه
(٢٧) وهكذا عامّة البدلاء لا تأتيهم الآيات والكرامات
إلّا من بعد العمل وبذل الجهد وأكثر مالم يحتسبوا ما
أتاهم الله تعالى به حين بدأهم الله عزّ وجلّ به، ومنهم
من اطّلع على القوم وقيل له إنّك منهم فعمل بعد أن أخبر
بذلك، ومنهم من يعرف نفسه ولا يعرف غيره، ومنهم
من يعرف الجميع بأسمائهم وقبائلهم

فإن كنت أيها السائل عن الصدق وشرح الطريق
قد عملت فى الصدق[3] ما ذكرته لك من العلم وباشرت هذه
المنازل ونزلت هذه المراحل وقطعت هذه الاسباب التى

[1] الصالحات [2] يرجوه [3] صدق



ذكرناها فأفضيت منها الى الراحة والسكون والاطمأنينة
فأنت محاط بالعصمة وماض على سبيل الاستقامة والمحجّة
البيضاء التى توردك على الله عزّ وجلّ فهنيئا لك وبارك الله
فيك فأنت من أمرك على بصيرة، وان كنت قد باشرت الصدق
وعملت فى كل مقام البرّ بقدر طاقتك وما أذن الله تعالى
لك وعاينت الامور فعسى أن يكون الله قد رآك وقد أبليت
فيما بينك وبينه عذرا لرغبتك فى التقرّب اليه فصحّ
اليه افتقارك حين علمت أنه لا بدّ لك منه فألقيت كنفك
بين يديه فعسى أن يكون قد رآك فى بعض الاوقات
اليه قاصدا راغبا بنيّة صحيحة وعزم صادق علم أنك لا
تملّ ولا تبرح من التعرّض له دون بلوغ مناك فجاد لك ببرّه
وأعطاك بعض الامل منه بل جذب قلبك اليه جذبة
فأسكنه اليقين وأشرف به على الآخرة فسهل عليك
عند ذلك العسير وألان لك من نفسك الصعب الذلول
ثمّ اختصر بك الطريق اليه فقرّ قرارك وقامت حياتك و
طاب عيشك فبذلك تعرّف السيّد الكريم الذى لا
تنقصه المواهب ولا ينفد نائله لأنّه البرّ الرحيم الذى

تسمّى الشكور (*) فياعجبا كل عجب وعجب كل متعجّب
ولاعجب اذكان السيّد الكريم يفعل مايريد ولكن موضع
العجب يلزم العبيد من شكره لعبيده الامرالذى بدأهم به
ودلّهم عليه واستعملهم به وحفظ عليهم ثمّ أحبّهم عليه و
نسبه اليهم فعلا ثمّ كتبه لهم فى المقبول ثمّ أثنى به عليهم
بِمَ وعدهم عليه الجزاء فهذا البرّالأن من الكريم لاتقف
عليه العباد بل تحيّرفيه العقول

هيهات أيها السائل المريد استيقظ من طول هذه
الرقدة انّما هذه أسماء علقها عليهم أنّهم فاعلون[1] وامور
نسبها اليهم وماأظنّه إلّا له والتوفيق به والصنعة منه فى
صنعته التى تفرّد بإنشائها وإبدائها لمّا شاء وهوالفعّال
لمايريد الذى يصيب برحمته من يشاء ، والعقلاء عن الله
عزّوجلّ من عباده يتلقّون الامورعلى هذا الوصف الشرح
ويرجعون فى الاشياء اليه ويرونها منه سبحانه لأنه
كان بدوها وعليه تمامها فهوالقائم بها واليه مرجعها
ولله الامرمن قبل ومن بعد أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ
تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ، وأمّا الضعفاء من الخلق

[1] فاعلين



فإنّهم يرون لأنفسهم هاهنا فعلا ، هيهات اذاصدقوا و
أخلصوا طلبوا الجزاء من الله عزّوجلّ على ذلك وذلك
مبلغهم من العلم ولهم عند الله تعالى خيركبير ، (قال) و
أذكرلك مقاما أخرفأعرض نفسك وغيرك عليه ممّن تراه
من العبيد يشيرالى المعرفة والعلم والسكون الى الله عزّوجلّ
فإن كنت قد شربت بكأس المعرفة بالله تعالى فأطلعك
الله بصفاء اليقين على ماسبق لك عنده فى القديم حين
أرادك قبل أن تريده وكان لك عالما قبل أن تعرفه وذكرك
قبل أن تذكره وأحبّك قبل أن تحبّه فهاج منك الأن
الشكرله على أياديه فألزمت قلبك المحبّة على أياديه
فأثرته وارتاحت روحك اليه فألفت قربه فصرت الأن
اليه تأوى وفى قربه تسكن فهولايغيب عنك ولاتفقده
ذاهبا وجائيا (٢٨) وقائما وقاعدا ويقظانا وراقدا وعلى كل
حال ، أماسمعت مايذكرعن النبى صلّى الله عليه وسلم
حين يقول تنام عيناى ولاينام قلبى ، وكذلك المؤمنون على
أقدارهم ، فماأعظم شأنك أيها العبد وأجلّ خطبك اذ
كان السيّد الكريم الكبيرالمتعالى[1] الغنىّ الحميد ذكرك

[1] المتعال

ذكرا بعد ذكر فخصّك فأجزل لك العطيّة اذ ذلك على محبّته
فأثرته فكان هو بغيتك ومرادك ومنتهى رغبتك وليس
منك شئ تملكه للعباد ولكنّها موهبة وهى أوّل أعلام
الوصول الى الراحة أن يكون الله مراد العباد لا غيره ، و
من علامة ذلك أن يكون هو الحافظ عليك ما استودع
قلبك من ذكره ومودّته وأوجدك من قربه وتعطّف عليك
ببرّه فسامحك الآن فسقطت عنك حركات الطلب للظفر أو
التقرّب[1] إلّا حركة تهيج منك الآن شكرا له على أياديه
وإيجابا لحقّه وألفة[2] له على غيره والتنعّم بمناجاته ولذّة
خدمته وما أراد فيك من تعبّده بمشيئته ليريك موضع
قدرته واختلاف أحكامه عليك لتفقه عنه وأنت فى ذلك
واجد لقربه وغير متشاغل بحركاتك ولا طالب[3] منه عليها
جزاء وثوابا كما أراد العباد والزهّاد ولكن تعمل لله تعالى
حبّا وكرما لأنه خلقك كرما واستعملت بأخلاق الكرماء
وبالله التوفيق

وهذا الآن جواب لك آخر على مسألتك حين قلت هل
يصير العبد الى حال يفقد مطالبة الصدق من نفسه وهى

[1] التقرب [2] والفة [3] طالبا



علامة الواصلين فافهمها ، أما علمت أيّها المريد أنّ الورع
والزهد والصبر والتوكّل والخوف والرجاء والمراقبة والحياء
والمحبّة والشوق والانس والصدق فى المواطن والاخلاص
فيها وكلّ خلق حسن جميل انّما هى منازل نزلها العمّال لله
عزّ وجلّ (*) ثمّ ارتحلوا منها الى غيرها حتى وصلوا الى المنى[1]
من قرب سيّدهم ، فما أنت وذكر المنزل الذى نزلته حتى
أوصلك الى بغيتك إن كنت واصلا ظافرا ببعض حظّك
من مطلوبك فأنت كأنّك مشاهده فعليه الآن فازدد إقبالا
واليه فأدم النظر وأصغ اليه بالأذان الواعية فإنه اقرب
اليك منك الى نفسك فما أنت الآن وذكر الصدق وانّما
هو منزل من منازل الطالبين

وبعد فإن كان قد فتح لك الباب الذى قد كان
بينك وبينه مغلقا وكشف عن قلبك الستر الذى كان
عليه مرخى فأوجدك قربه ولاطفك ببعض التأنّس فعساك
أن تكون قد صرت الى بعض سولك فقرّ قرارك ، وإن
كنت أنت وغيرك من الطالبين انّما فقدت وجود مطالبة
الصدق وما أشباهه من الامور من وجودك لقرب الله عزّ

[1] المنا

وجلّ والتشاغل به فتلك بغية العارفين بالله عزّ وجلّ و
كذلك فافهمها من نفسك ومن غيرك ولا تتخذ عنّ لنفسك
من حظّك من ربّك ، واعلم أنّ الواصلين الى الله عزّ وجلّ
وأهل القرب منه الذين قد ذاقوا طعم محبّة الله تعالى
بالحقيقة وظفروا بحظّهم من مليكهم فمن صفاتهم أن
الورع والزهد والصبر والاخلاص والصدق والتوكّل
والثقة والمحبّة والشوق والانس والاخلاق الجميلة وما
لم يمكن أن يوصف من أخلاقهم وما استوطنوه من البرّ و
الكرم فذلك كلّه معهم وساكن[1] فى طبعهم ومخفى[2] فى
سرائرهم لا يحسنون غيره لأنه غذاؤهم وعادتهم لأنهم
فرضوا ذلك على أنفسهم فرضا وعملوا فيه حتى ألفوه فلم
يكن عليهم بعد الوصول كلفة فى اتيانه والعمل به اذا
حلّ وقت كل حال لأن ذلك غذاؤهم كما ليس لهم فى اداء
الفرائض ثقل ولا علاج (٢٩) وذلك لما غلب على قلوبهم
من الأثرة لله عزّ وجلّ والقرب منه فهم عاملون به بلا مؤونة
بل بلا تشاغل بالاعمال الظاهرة لأن الخدمة والاعمال
الظاهرة انّما تقع على ظاهر الجوارح ، فافهم هذا الموضع

[1] وساكنا [2] ومخفا



والقلوب بعد ذلك ذاهلة بل هى بالله مشغولة للذى
استولى عليها من قرب الله عزّ وجلّ والمحبّة لله والشوق
اليه والرهبة منه والتعظيم له والاجلال ، فافهم أيها
المريد ما ألقيت اليك وتدبّره تجده بيّنا معروفا إن
شاء الله تعالى

فأحضر الآن عقلك واجمع همّك ولا تسمع العلم
وأنت عازب الفهم عن الذى يلقى اليك فلا عذر لك الآن
بعد العلم والبيان بل قد تأكّدت عليك الحجّة فاعمل
فى التخلّص الى الله عزّ وجلّ لعلّك أن تتخلّص فتقرّ عينك
بمعرفته فى هذه الدّار عاجلا قبل الأجل ، نعم ثمّ يدوم
حزنك ويشتدّ كربك وتزداد كل حال كنت تجدها أضعاف
ما كنت تجدها قبل المعرفة والوصول ، ومصداق ذلك فى
كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم قال
الله عزّ وجلّ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا وقال
النبى صلّى الله عليه وسلّم أنا أعلمكم بالله وأشدّكم
له خشية ، وقال صلّى الله عليه وسلّم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات

تجرؤون الى الله، وعلى حسب ذلك كان صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك العارف بالله القريب من الاشياء الموفّق فى كلّ حال يحلّ فيها بما يكون فيها بخلاف غيره من الناس، ثمّ على هذا القياس وفى هذا بلاغ لمن فهم وتدبّر وبالله التوفيق.

قلت متى يألف العبد أحكام مولاه ويسكن فى تدبيره واختياره قال الناس فى هذا على مقامين فافهم، فمن كان منهم انّما يألف أحكام مولاه (*) ليقوم بأمره الذى يوصله الى ثوابه فذلك حسن وفيه خير كبير إلّا أنّ صاحبه يقوم ويقع ويصبر مرّة ويجزع أخرى ويرضى ويسخط ويعبر و يراجع الامر فذلك يؤديه الى ثواب الله ورحمته إلّا أنه معنًى[1] فى شدّة ومكابدة وانّما يألف العبد أحكام مولاه ويستعذب بلواه ويسكن فى حسن تدبيره واختياره بالكلّيّة بلا تلكّى من نفسه اذا كان العبد ألفا لمولاه ولذكره وهو له محبّ وادّ وبه راض وعنه راض، فهل يكون أيها السائل على المحبّ مؤونة فيما حكم عليه محبوبه كيف وانّما يتلقّى ذلك بالسرور والنعيم هكذا قال فى الخبر حتى يعدّ البلاء

[1] معنا



نعمة والرخاء مصيبة، وقال فى خبر آخر غنيمة الصدّيقين ما زوى عنهم من الدنيا، وروى عن الله عزّ وجلّ فى بعض ما أنزل من كتبه أنه قال معشر المتوجّهين الىّ بحبّى ما يضرّكم ما نابكم من الدّنيا اذا كنت لكم حصنا وما يضرّكم من عاداكم اذا كنت لكم سلما، فمن كان مع الله عزّ و جلّ بهذه الاحوال فى المواطن كيف يكون إلّا على نحو ما ذكرناه، ولقد قال بعض العلماء بالله تعالى واهل القرب منه إنّ القوم الذى ذكرنا بعض أحوالهم لا يرضون من أنفسهم أن تكون تقاوم الامور عند حلولها والاحداث عند نوازلها حتى تتمكّن[1] من قلوبهم فيحتاجون أن يصبروا عليها أو يرضوا بها بل الصّبر والرضا لهم تابع مضاف لأنهم طالبوا من أنفسهم صحّة الشغل بالله تعالى والانفراد به فلم يرضوا عند ذلك أن تكون الامور النازلة بهم تقاوم ذكر الله تعالى حتى تساويه وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ، وبعد فإنّهم عبيد محكوم عليهم وإنّ أقلّ القليل فى الاوقات ليملكهم حتّى يقرّون لله تعالى بالضعف (٣٠) ويسألونه العون فلا تعجب إن بدا لك من أحد منهم شئ من ذلك فهذا

[1] تمكن

النبى صلّى الله عليه وسلّم يقول إنّى بشر اللهمّ من دعوت
عليه فاجعل دعائى عليه رحمة ، وسمعت بعض العلماء
بالله عزّ وجلّ يقول إنّ من شدّة اتّصال العبد بمولاه و
وجده به ونزوله فى قربه لا يجد طعم اختلاف الاحكام
بل يكون معه النظر الخفىّ اليها حتى كأنها على غيره أو
بغيره نازلة ، فهذا غاية من التلقّى للاحكام فافهم هذا الموضع
وتدبّره فإنه يؤديك الى علم السكون الى الله عزّ وجلّ إن
شاء الله ، وانّما يكون السكون الى الله تعالى والاطمأنينة
على قدر القرب من القلب ، ومن شرح السكون الى الله تعالى
فقد حسّ الاشياء من القلب وسكون دواعى الهمّ وهدوء
الضمير مع الله والى الله تعالى فعند ذلك تكون الامور من
الدنيا والأخرة وأعمال البرّ والطاعة طالبة للعبد ولاحقة
به واليه محتاجة واليه واصلة بل اليه موصولة[1] لأنه
عزف عنها واستغنى بمالكها فوصلت اليه ، قال الله عزّ وجلّ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ، وبلغنا أنّ الله عزّ وجلّ أوحى
الى عيسى عليه السلام أنزلنى منك كهمّك واجعلنى ذخرا
لك فى معادك ، وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم من

[1] موصول



غير طريق أنه قال من جعل الهمّ همّا واحدا كفاه الله سائر
همومه ، وروى عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه[1] قال
ما عجبت من عبادة ملك مقرّب ولا نبى مرسل اذ كان الله
عزّ وجلّ قوّاهم على ذلك ، وهكذا من ذكرناه من القوم و
صفاتهم فمن نظر الى عبيد الله تعالى بنفسه وقياسه و
بأنفسهم وما يشبههم فهم عنده فى موضع النقص أبدا
فاذا نظر اليهم بالله عزّ وجلّ وبقوّته وتدبيره فممّا يعجب
وبالله التوفيق (*)

مسئلة تدلّ على ما ذكرنا قلت فما تقول فى عبد
كان لا يتكلّم ولا يتحرّك ولا يعمل عملا إلّا طولب عليه
فى ذلك ووجد النقصان ولحقته الفترة والقسوة فى أوقات
نيله وأكله وشربه وكذلك فى جميع أحواله ثمّ صار الى
حال يتكلّم ويتحرّك فى الامور ويقبض[2] ويبسط ويأكل و
يشرب ولا يستوحش ولا يجد مطالبة ولا يرى نقصا كما
كان يراه قبل ، فقال هذه مسئلة حسنة فافهمها ، فما أحوج
المريدين العمّال اليها ، اعلم أنّ المريد الطالب للصدق فهو
عامل فى جميع أموره بالمراقبة لله عزّ وجلّ بالقيام على قلبه

[1] ناقص فى الاصل [2] ويقبط

کتابخانه نجفی
٣١ بهمن ١٤

وهمّه وجوارحه بالمحاسبة فهو جامع لهمّه حذرا من أن
يدخل فى همّه مالا يعنيه حذرا من الغفلة فالحركات فى
ظاهر جوارحه بجوارحه تنقصه والهمم الداخلة عليه فى
قلبه تكدّر[1] همّه فهو عند ذلك يتفرّغ من الحركات التى
ذكرت وإن كانت فى حقّ وبحقّ وذلك لما غلب على قلبه
من محبّته أن يكون ذكره دائما وهمّه واحدا فاذا دام على
ذلك تفطّن قلبه وصفت فكرته وسكن النور قلبه وقرب
من الله تعالى فغلب على قلبه وهمّه فعند ذلك يتكلّم و
القلب يغلى بالذكر لله عزّ وجلّ وقد كمنت فى سويداء
قلبه محبّة الله تعالى فهى لازمة للضمير لا تفارقه فمن
شأنه فى سرائره أن يكون ناعما بالمخاطبة لله الخفيّة و
المطالعة الشجيّة والمحادثة الشهيّة وهكذا يكون
فى أكله وشربه ونومه وكل حركاته لأنّ قرب الله تعالى
اذا تمكّن فى قلب العبد غلب على ما سواه (٣١) من باطن
عوارض الهمم وظاهر حركات الجوارح فعندها يكون العبد
ذاهبا وجائيا[2] وآخذا ومعطيا[3] والغالب عليه همّ ما قد ملك
ضميره من محبّة الله عزّ وجلّ وقربه ، ألم تر نفسك أيها

[1] فى الهامش تذكر [2] وجاى [3] ومعطى



المريد كيف تملّك قلبك أحيانا همّا من امر الدنيا فيسلبك
عن كلّ شئ حتى يكدر عليك العيش فتكون ساهيا إلّا
عن ذلك حتى تفقد النوم ، فأمر الله عزّ وجلّ أحرى عند
العقلاء وأولى فعند ما ذكرنا صحبت العبد من الله عزّ و
جلّ العصمة فكان محفوظا من النقصان ، فافهم أيها السائل
ما يلقى اليك وتدبّره ينفعك إن شاء الله تعالى

وبعد فأعرض ما ذكرت لك على ما سألت عنه فإن
أجزاك وكان ما فقدت وما وجدت من جنس ما ذكرت
فاشكر الله تعالى يزيدك ، ولا يخفى على العلماء ما يحدث
عندك فليس بين المريد وبين معلّمه رئاء إن شاء الله
تعالى ، وإنّى بمؤدّب بصير جهبذ فى زماننا هذا وبالله التوفيق

تمّ كتاب الصدق للشيخ العارف أبى سعيد الخرّاز رحمه الله
ونفع بأنفاسه وسلّم عليه سلاما طيّبا مباركا فيه والحمد لله
وصلواته على محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا كتبه
العبد الضعيف الفقير اسمعيل بن سودكين رفق الله به و
أخذ بيده ورحمه ورحم والديه وجميع المسلمين وحسبنا
الله ونعم الوكيل

# مطبوعات

## ادارهٔ اسلامی ریسرچ ایسوسی ایشن

| | | روپیہ | آنہ |
|---|---|---|---|
| ۱ | منتخب دیوان امام قلی دزبادی المتخلص بنجاکی خراسانی (فارسی) المصحح ایوانف | ۱ | ۱۰ |
| ۲ | مجموعۂ مشتمل بر دو رسالہ ہفت باب بابا سیدنا و مطلوب المؤمنین از تصنیفات خواجہ نصیر الدین طوسی (فارسی) مع ترجمہ درانگلیسی المصحح ایوانف | - | ۱۴ |
| ۳ | رسالہ در حقیقت دین از تصنیفات مرحوم شہاب الدین شاہ ولد مولانا شاہ علی شاہ (فارسی مع ترجمہ انگلیسی) المصحح ایوانف | ۱ | ۴ |
| ۴ | کلام پیر یعنی کتاب ہفت باب (فارسی مع ترجمہ انگلیسی) المصحح ایوانف | ۶ | ۸ |
| ۵ | عربوں کی جہازرانی از سید سلیمان ندوی (اردو) | ۱ | ۱۲ |
| ۶ | کتاب الصدق لأبی سعید الخراز (عربی مع ترجمہ انگلیسی) المصحح الدکتور اج-آربری | ۴ | .. |

۷ الهداية الآمرية، عربی المصحح آصف بن علی اصغر فیضی

ناشر
ہمفری ملفرڈ
آکسفورڈ یونیورسٹی پریس
لندن، نیویارک، بمبئی، کلکتہ، مدراس

کتابخانه مجلس شورای اسلامی
تاسیس ۱۳۰۲

مطبوعہ حبل پریس بمبئی نمبر ۳

۱۹۳۶